جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الدرس الصوتي عند ~~بن أبي~~ مكي طالب القيسي

بكر محمد أبو معيلي

رسالة
مقدمة إلى
عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على
درجة الماجستير في اللغة و النحو / قسم اللغة العربية

جامعة مؤتة , 2003

جامعة مؤته

عمادة الدراسات العليا

إجازة رسائل جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب بكر محمد ابو معيلي والموسومة بـــ:

"الدرس الصوتي عند مكي بن ابي طالب".

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

القسم : اللغة العربية وآدابها

الاسم	التوقيع	التاريخ	
أ.د عبد القادر مرعي		٢٠٠٣/١٢/٧	مشرفا
أ.د. محمد حسن عواد		٢٠٠٣/١٢/٧	عضوا
أ.د. يحيى عبابنة		٢٠٠٣/١٢/٧	عضوا

عميد الدراسات العليا

د.ذياب البدايـــــة

الإهداء

والدي روح طاهرة في علّيين، أمي أحقّ الناس بصحابتي، زوجتي رفيقة العمر حتّى يبعثون، صهيب فكر الحاضر ، وأمل المستقبل.

حمزة ... مستقبل مشرق

عسى أن يكونا .... ويكونا ... .

بكر محمد أبو معيلي

الرموز المستعملة في الرسالة

الهمزة	>
الباء	b
التاء	t
الثاء	t̲
الجيم	ǧ
الحاء	ḥ
الخاء	h̲
الدّال	d
الذال	d̲
الراء	r
الزاي	z
السين	s
الشين	š
الصاد	ṣ
الضاد	ḍ
الطاء	ṭ
الظاء	ẓ
العين	<
الغين	ġ
الفاء	f
القاف	ḳ
الكاف	k

رموز الحركات المستعملة

الفتحة القصيرة	a
الفتحة الطويلة	a
الكسرة القصيرة الخالصة	i
الكسرة الطويلة الخالصة	ī
الكسرة القصيرة الممالة	e
الكسرة الطويلة الممالة	ē
الضمة القصيرة الخالصة	u
الضمة الطويلة الخالصة	ū
الضمة القصيرة الممالة	o
الضمة الطويلة الممالة	ō

فهرس المحتويات

فهرس الجداول

الملخـــص

الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي

بكر محمد أبو معيلي

جامعة مؤتة ، 2003

تتبنى هذه الدراسة المستوى الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في كتابيه الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، وكتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة .

وقد جاءت الدراسة في تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة :ـ

أمّا التمهيد فيتحدث عن :

1- مكي بن أبي طالب القيسي ، اسمه ونسبه .

2- علمه .

3- وفاته .

4- عقيدته ومذهبه الكلامي .

5- أهمّ شيوخه .

6- تلاميذه .

وأمّا الفصل الأول فيتحدث عن مخارج الأصوات وصفاتها عند مكي بن أبي طالب ، إذ تناول الباحث هذا الفصل في مبحثين :

الأول : مخارج الأصوات عند مكي ، إذ عدّها مكي ستة عشر مخرجاً للحلق منها ثلاثة مخارج ، وللفم اثنا عشر مخرجاً ، والأخير مخرج الخياشيم للغنّة .

الثاني : صفات الأصوات عند مكي ، وجاءت على قسمين الأول للصفات العامّة تشترك فيها جميع الأصوات ، حيث تتقابل كل صفة مع

صفة أخرى تندرج جميع الأصوات تحت هاتين الصفتين المتضادتين ، والقسم الآخر للصفات الخاصّة تقتصر على حروف دون أخرى.

فأمّا الفصل الثاني فبعنوان الأداء الصوتي ، حيث يشمل الإدغام ، والإمالة، والوقف ، والرّوم والإشمام ، والمدّ ، والقصر، تناول الباحث فيه هذه المصطلحات كما تحدّث عنها مكي من تعريف وتفصيل وشرح وإبانة ، وأورد آراء علماء اللغة المحدثين فيها .

واتّسم الفصل الثالث بعنوان مصادر مكي بن أبي طالب الصوتيّة ، إذ تنوّعت مصادره من لغويين ونحاة وقرّاء ، وتتبع الباحث هذه المصادر في كتابيه الكشف والرعاية ، فأوردهما على شكل جدولين منفصلين ، تضمّنا الإشارات إلى مواطن اعتماد مكي على غيره من علماء اللغة والنحو والقراءات في دراسته لهذا العلم .

وكان الفصل الرابع بعنوان منهجه في الدراسات الصوتية ، وتبيّن أنّ مكياً قد خصص كتباً مستقلة لدراسة الأصوات العربية ، فكان بهذا صاحب منهج جديد كما وصف نفسه ، سار على محورين في دراسته للأصوات ، الأول: راح فيه يجمع المادّة الصوتية من بطون الكتب ، والثاني : عملي تمثّل في تطبيق المادّة التي جمعها، والهدف عنده من هذا كلّه لتحقيق القراءة الصحيحة ، وتميّز منهجه بالتعليل والاعتماد على المنهج التعليمي وخاصّة في كتابه الرعاية .

وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، الذّي يصف الظاهرة الصوتية عند مكي بن أبي طالب ، ثمّ يحللها في ضوء معطيات الدراسات الصوتية الحديثة .

Abstract

The Vocal lesson in the view of Makki Bin Abi Taleb Al-Qaisi

Baker m. m. Abu Muili

Mutah university , 2003

This study concerns the vocal level in the view of Makki Bin Abi Taleb AL-Qaisi in his two books " AL-Kashf A'n wojooh AL-Kerat AL-Sab' wa E'laleha_wa Hujajeha " and the book titled", " AL-Riaya le tajweed AL-qiraa wa tahqeek Lafth AL-tilawa.

The study consists of preface, four chapters and a conclusion .

The preface discusses the followings :-

1- Makki Bin Abi Taleb AL-Qaisi , his name and his lineage.
2- His science.
3- His death.
4- His belief and his verbal ideology
5- His most important masters " Sheiks ".
6- His students.

The first chapter discusses the articulation of letters and their characteristics in the view of Makki Bin Abi Taleb .

The scholar divides this chapter in to two fields of study :-the first is the articulations of letters in the view of Makki Bin Abi Taleb , these articulations are sixteen ; three of which are for the throat , twelve are for the mouth and the last one is for the nose " gunna" (To speak through the nose) .

The second is the characteristics of letters in the view of Makki Bin Abi Taleb . These consist of two parts ; the first is for general characteristics which are common for all letters . Each characteristic opposites the other and all letters are classified under these two opposite characteristics .

The second is for the special characteristics which are concerned only with some of the letters .

The second chapter is titled " The vocal performance " . It includes assimilation " Iddgame ", " Imala" which is the pronunciation of a shaded toward e, "AL-Waqf " which is to pronounce a word with out ending , " AL-Rawm " ," AL-Ishmam" , " AL-Madd " which is drawing out of the voice over long vowels , and finally " AL-Kasr" .

In this chapter , the scholar mentioned these terms as they were discussed by Makki Bin Abi Taleb including their definitions ,details, explanation and illustration. He also mentioned the views and opinions of the recent linguists that are related to these terms .

The third chapter is titled " The vocal resources of Makki Bin Abi Taleb " .

These various resource include linguists , grammarians and reciters . The scholar has searched for these resources in Mkki's two books ; " AL-Kashf " and " AL-Reaia" , and he mentioned them in a form of separate tables.

These tables include indications to the points at which Makki depended on other linguists to study this science .

The fourth chapter is titled " His methodology of vocal researches" .

The scholar finds that Makki specify particular books to study the Arabic voices . The re fore , he is the owner of the new methodology as he described him self .

In his study of voices, he followed two courses, the first in which he gathered the vocal material from books. The second is practical one in which he applied this vocal material.

Makki's purpose was to achieve correct recitation. His methodology is distinguished by explanation for he depended on the educational methodology specially in his book "AL-Reaia" .

The study has followed the analatical descriptive methodology of research , which describes the vocal phenomenon in the view of Makki Bin Abi Taleb .

After that the study analyses the phenomenon in the light of the recent vocal studies .

الفصل الأول

مخارج الأصوات وصفاتها عند مكي بن أبي طالب القيسي

المقدّمة :

تبحث هذه الدراسة موضوع الدرس الصوتي عند أحد علمائنا القدماء ، مكي بن أبي طالب القيسي .

حيث تناولت الدراسة الموضوع رغبة في الوقوف على جهود مكي بن أبي طالب القيسي ، الذي تنقل في بلاد المشرق والمغرب، حتّى تجمّعت له هذه الحصيلة العلمية التي أغنت الدرس الصوتي، من حيث الجمع والتبويب، وتقديمه للقارئ والمقرئ؛ ليكون عوناً لهما في خدمة كتاب الله الكريم .

واعتمدت الدراسة كتابي مكي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع، وعللها وحججها، وكتاب الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ليكونا هما مجال البحث في هذه الدراسة، وكانت الدراسة ترجع أحياناً إلى بعض مؤلفاته، ولا سيما كتاب التبصرة ، وكتاب مشكل إعراب القرآن، وكتاب الإبانة عن معاني القراءات .

وقد تبين بعد البحث الدقيق أنّ موضوع الدراسة لم يُدرَس أو يُتطرّق إليه بالشّكل الذي جاءت به هذه الدّراسة، ولم يَعثر الباحث (في حدود علمه) على دراسة تناولت هذا الموضوع عند مكي بن أبي طالب سوى دراستين ، الأولى وهو بحث للدكتور عبد القادر مرعي ، بعنوان التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي ، وهو بحثٌ منشور في مجلة كلية الآداب في جامعة قسنطينة ، أشار فيه إلى بعض مصادر مكي في دراسة الأصوات مثل كتب : الخليل ، وسيبويه ، والمبرد ، وابن

جنّي، والأخفش، والجرمي، وابن دريد، وبعد هذا تحدّث عن بعض المصطلحات التي سبق مكي إلى استعمالها، كالصوت القوي والضعيف، والأصوات المذبذبة، وغير ذلك، وتطرّق إلى تجديد مكي في المنهج من حيث تناوله لدراسة الموضوعات الصوتية .

أمّا الدراسة الثانية فكانت بعنوان أصوات العربية والقرآن الكريم، منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب، للدكتور عبد الله ربيع محمود، بحث منشور في جامعة الإمام محمد بن سعود ، ابتدأ الحديث عمّا أصاب اللغة من اللحن والخطأ عند كثير من الناس، وطبيعي ألاّ يسلم الجانب الصوتي والأدائي مما أصيبت به الجوانب اللغوية، فظهرت الحاجة إلى ضوابط للألسنة وخاصة مع كتاب الله، ثم ذكر الباحث عدداً من أوائل الدراسات الصوتية التي برزت ، من قصائد وإشارات في بطون الكتب إلى المستوى الصوتي ، وأورد مقارنة بين ابن جني ومكي ، من كان أسبق في تخصيص أول دراسة مستقلة للأصوات ، وأخذ الدكتور ربيع بعرض المادة الصوتية في كتاب الرعاية شرحاً وتفصيلاً من بداية الكتاب حتّى نهايته ، وتتبع تحذيرات مكي وتنبيهاته بمسمياتها المختلفة نحو التصحيف، والشوب والمخالطة، واللحن، والخطأ والالتباس، وغير ذلك .

أمّا المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي ، إذ قمت برصد الأنماط الصوتية من خلال كتابي مكي ووصفها ومن ثمّ تحليلها.

وقد جاءت الرسالة في أربعة فصول وتمهيد :

ففي التمهيد تحدّثت الدراسة عن مكي بن أبي طالب، اسمه ونسبه، ورحلاته، وعلمه، وعقيدته، ومذهبه الكلامي، ووفاته، وشيوخه، وتلامذته.

وكان الفصل الأول بعنوان مخارج الأصوات وصفاتها عند مكي بن أبي طالب ، قُسّم إلى قسمين، الأول باب مخارج الأصوات، تحدّثت فيه عن اختلاف العلماء القدماء في عدد مخارج الأصوات، وكذلك اختلاف المحدثين في عددها، ورتّبتُ المخارج عند مكي كما ذكرها مع تحديد أصوات كل مخرج ، أمّا القسم الثاني فكان لصفات الأصوات، حيث قسّمته إلى قسمين رئيسيين، الأول الصفات العامة، والثاني الصفات الخاصة، فأمّا الأول فقد ذكرت فيه الصفات التي تشترك فيها كل الأصوات بحيث لكل صفةٍ صفة أخرى تقابلها، فلا بدّ أن يندرج كلُ صوتٍ تحت إحدى هاتين الصفتين، نحو الأصوات المهموسة والمجهورة ، والأصوات الشديدة والرخوة، والأصوات المطبقة والمنفتحة ، والأصوات المستعلية والمستفلة، وغير هذا ، وتحدّث الباحث عن كل صفة، بأن يعرّفها ويذكر حروفها، وما فيها من اختلاف عند القدماء والمحدثين، وأمّا الثاني فكان للصفات الخاصة التي اتصفت فيها بعض الأصوات، وذلك نحو أصوات الصفير، والتكرار، والمهتوت ، والجرسي وغير ذلك .

وبعد الانتهاء من ذكر الصفات أوردت جدولاً يضمّ الصفة وأصواتها وتعريف الصفة ، وملحوظات حول الصفة من حيث القوة والضعف .

أمّا الفصل الثاني فهو بعنوان الأداء الصوتي عند مكي ، تناولت فيه موضوعات الإدغام، والإمالة، والوقف، والروم، والإشمام، والمدّ، والقصر، بحيث قمت بتعريف كل مصطلح مركزاً الحديث على كل ما قاله عن هذه المصطلحات ، وما بحث فيها من خلال القراءة لكتاب الله الكريم .

وفي الفصل الثالث ذكرت مصادر مكي الصوتية التي اعتمد عليها في دراسته للأصوات، حيث تتبعت كل المصادر التي أحال إليها في كتابيه

الرعاية والكشف، وألفيتها مصادر لغوية، ومصادر قرآنية ، وكان لا يصرّح كثيراً باسم الكتاب الذي يأخذ منه، مكتفياً بالإشارة إلى مؤلّفه ، بل وأحياناً لا يشير إلى المؤلف ولا إلى الكتاب قائلاً : قال قوم ، أو قال أهل اللسان ، أو قال العلماء ... مما يوجد صعوبة كبيرة في تحديد عدد من المصادر عنده .

والفصل الرابع كان بعنوان منهج مكي في الدراسات الصوتية، فقد وجدت مكياً عالماً مجدداً كما وصف نفسه، فمكي رسم لنفسه طريقاً اختلف فيه عن الذين سبقوه من علماء اللغة والقراءات، إذ خصّص كتباً مستقلة لدراسة الأصوات العربية ، فوصف مخارج الأصوات وألقابها وعللها .

التمهيد :

اسمه ونسبه :

هو مكي بن أبي طالب حمّوش محمد بن مختار القيسي ، يكنى أبا محمد (القفطي ، ١٩٥٥، ٣١٣/٣) ، وفي قول الجزري حيّوس (ابن الجزري ، د.ت ٢ :٣٠٩) ، وكذلك روى الذهبي (الذهبي ،١٩٦٩ :٣١٦/١) ، والاختلاف يظهر في اسم أبيه ، حمّوش أم محمد ، وذكر ياقوت الحموي :" واسم أبي طالب محمد ، ويقال : حمّوش بن محمد بن مختار"(الحموي ، د.ت : ٥١٧/٥)

ولعل الأكثر صواباً من الاسمين هو محمد ، وحمّوش هو لقب يطلقه المغاربة للتحبب على اسم محمّد : فقد ذكر الزركلي أن قولنا : حمّوش هو تصغير محمد عند المغاربة (الزركلي ، د.ت : ٨/ ٢١٤) ، كما في بعض الأسماء عند أهل المشرق .

وذكر ابن خلدون: المكي (ابن خلدون ، د.ت : ٣٣٤/٤) بدلاً من القيسي ، القيرواني الأندلسي القرطبي، أصله من القيروان (القفطي ،١٩٥٥ : ٣١٣/٣) ، وسكن قرطبة (الحنبلي ، ١٩٨٨: ٤٢٥/٣) .

نشأته ورحلاته :

ولد مكي بن أبي طالب لسبع بقين من شعبان ، سنة خمس وخمسين وثلاثمائة عند طلوع الشمس، أو قبل طلوعها بقليل(القفطي، ١٩٥٥ :٣١٣/٣) ، وقيل لتسع بقين من شعبان (ابن بشكوال ، د.ت : ٦٣٣/٢) .

وسنة ولادته يتفق عليها المترجمون إلاّ ما ذكره ابن خلكان أنّ أبا عمر المقرئ الداني قال : إنه ولد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة (ابن خلكان ، ١٩٧٧ : ٢٧٤/٥) .

وقد نشأ مكي في القيروان ، وفيها ترعرع بداية حياته إلى سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

ومما ذكر ياقوت الحموي أنه :" ولد بالقيروان لسبع بقين من شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ونشأ بها " (الحموي ، د.ت :٥/٥١٧).

كان الرحيل الأول لمكي بن أبي طالب وهو في سن الثالثة عشرة من عمره إلى مصر، وفي هذا اتفق معظم المترجمين لحياته (الذهبي، ١٩٦٩ :١/ ٣١٧ ، الحموي ، د.ت : ٥/٥١٧ ، ابن خلكان، ١٩٧٧ : ٥/٢٧٤ ، الذهبي، ١٩٨٣: ١٧/٥٩٢ ، القفطي ، ١٩٥٥ : ٣/٣١٣ ، ابن الجزري ، ١٩٣٣ : ٢/٣٠٩ ، ابن بشكوال ، د.ت : ٢/ ٦٣٢)

قال الذهبي:" أخبرني أنه سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتردد إلى المؤدبين بالحساب " (الذهبي ، ١٩٦٩ : ١/٣١٧) ، وكان رحيله الأول سنة سبع وثلاثمائة هجرية .

وفي مصر" اختلف بها إلى ابن غلبون المقرئ ، وغيره من المؤدبين والعلماء " (الحموي ، د.ت : ٥/٥١٧) ، ثم عاد مكي إلى القيروان سنة أربع وسبعين وثلاثمائة (ابن بشكوال ، د.ت : ٢/٦٣٢) ، وقيل سنة ست وسبعين وثلاثمائة (الذهبي ، ١٩٨٣ : ١٧/٥٩٢) ، وقيل سنة تسع وسبعين وثلاثمائة (الحموي ، د.ت : ٥/٥١٧) .

وفي القيروان " حفظ القرآن، واستظهر القراءات وغيرها من الآداب ، ثم رجع إلى مصر ليتلقى ما بقي عليه من القراءات سنة اثنتين وثمانين " (الحموي ، د.ت : ٥/٥١٧) ، فحج في تلك السنة حجة الإسلام ، ثم ابتدأ بالقراءات على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرئ، نزيل مصر بمصر"(ابن خلكان ، ١٩٧٧ : ٥/٢٧٤) .

ثم رجع إلى القيروان سنة ثلاث وثمانين ، وأقام بها يقرأ إلى سنة سبع وثمانين ، وأخذ عن محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وغيرهما " (الحموي ، د.ت : ٥/٥١٧) .

ثم خرج إلى مكة سنة سبع وثمانين (من الملاحظ أثناء البحث في كتب التراجم أنّ السنوات في رحيل مكي وإيابه لم تكن متوافقة . لكن الأماكن التي سافر إليها قد ظهرت متوافقة غالبا) ، وأقام بها إلى آخر سنة تسعين ، فحجّ أربع حجج متوالية ، وسمع بمكة من أكابر علمائها ، ثم رجع من مكة فوصل إلى مصر سنة إحدى وتسعين ، ثم عاد إلى بلده القيروان سنة اثنتين وتسعين ، وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة رحل إلى الأندلس، فدخل قرطبة في رجب من السنة في أيام المظفر بن أبي فريد ، ونزل في مسجد النخيلة بالرّواقين عند باب العطارين ، ثم نقله ابن ذكوان القاضي إلى المسجد الجامع فجلس فيه للإقراء ونشر علمه ، فعلا ذكره ورُحل إليه ، فلما انصرمت دولة عامر نقله محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الخارج ، فأقرأ عليه وقلّده الحسن بن جوهر الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع إلى أن مات " (الحموي ، د.ت : ٥/٥١٧) .

ولعلّ ما يميز حياة مكي هو كثرة رحلاته وتنقلاته بين البلاد والأمصار، فلقي أصحاب العلم والشيوخ ، فأخذ عنهم وتتلمذ على أيديهم ، حتّى تجمعت له هذه الحصيلة العلمية التي جعلته من روّاد باحثي الدرس الصوتي ، وربت هذه المدة من حياته في السفر على ربع قرن .

وهناك إشارة واحدة وجدها الباحث تشير إلى أنّ مكياً قد سافر إلى القدس، قال ــ رحمه الله ــ :" وألفت مشكل الإعراب في الشام ببيت المقدس سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة " (ابن الجزري ، ١٩٣٣ : ٢/٣١٠) .

علمه:

لقد كان مكي بن أبي طالب ذا علم غزير، وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية " (السيوطي:د.ت :٢/١٥٤) ، مشهورًا بالإصلاح وإجابة الدعوة ، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل " (الحنبلي ، ١٩٨٨ : ٣/٤٢٥) ، خيّرًا فاضلاً متواضعاً متديناً "(القفطي ، ١٩٥٥ : ٣/٣١٤) ، وكان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم "(الذهبي ، ١٩٨٣ : ١٧/٥٩١) .

يعد أحد الأئمة الكبار في علوم الدين والعربية ، الفقيه المشاور العالم العامل شيخ الصوفية " (محمد مخلوف ، د.ت : ١٠٧) ، فقد نشأ مكي كما ينشأ أترابه في ذلك العهد ، فتلقفته الكتاتيب القرآنية التي كانت هي المدارس الابتدائية التي يتلقى فيها الصبيان القرآن الكريم، ومبادئ العلوم اللغوية، ثم ينتقل التلميذ إلى التعليم الثانوي الموجود بحلقات المدرسين المنتصبة بالجوامع والمدارس والمساجد (أحمد فرحات ، ١٩٨٣ : ٤٨) .

وبالنظر إلى مؤلفات مكي بن أبي طالب يرى المرء مدى اتساع علم الرجل وإحاطته بكثير من العلوم، كالقراءات في كتبه " التبصرة " ، و" الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها "، و" الموجز"، وفي فن الأداء القرآني والتجويد كتاب " الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة" قال في مقدمته :" وما علمت أنّ أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى ما اتبعتُ فيه كل حرف من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبه على تجويد لفظه، والتحفظ عند تلاوته " (مكي ، ١٩٩٦ : ٥٢) .

كما كان مكي عالماً ملماً بأسباب النزول والرواية ، وله في هذا المجال كتابان هما "الإيضاح في الناسخ والمنسوخ " ، و " اختصار أحكام القرآن" .

وكان لغوياً متقناً في علوم اللغة ملماً في غريب القرآن ، وألّف فيه كتاب " العمدة في غريب القرآن " ، وله في إعراب القرآن الكريم مؤلفات مثل " الزاهي في اللمع الدالة على أصول مستعمل الإعراب" ، و" مشكل إعراب القرآن الكريم " (القفطي ، ١٩٥٥ : ٣/٣١٥) .

وكان مكي مهتماً بإعجاز القرآن الكريم إذ أفرد له كتابين " انتخاب الجرجاني في نظم القرآن وإصلاح غلطه " ، و" بيان إعجاز القرآن " .

وفاته :

توفي مكي بن أبي طالب ، رحمه الله في قرطبة يوم السبت فجراً لليلتين خلتا من المحرم ، ودفن ضحى يوم الأحد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بالربض ، وقد شهده خلق عظيم من الناس الذين بكوه ورثوه وختموا القرآن مرات عليه .

وذُكر أنّه عند وفاته كان قد أناف على الثمانين من العمر، وقد صلّى عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله (انظر : ابن الجزري ، ١٩٣٣ : ٢/٣٠٩ ، ابن بشكوال ، د.ت : ٢/٦٣١ ، الذهبي ، ١٩٨٣ : ١٧/٣٩٥ ، الحموي : د.ت : ٥/٥١٧ ، ابن خلكان ، ١٩٧٧ : ٥/٢٧٤) .

وقد ورد في كتاب النجوم الزاهرة أنه رحمه الله توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وأربعمائة (الأتابكي ، ١٩٣٥ : ٥/٢٩٧) .

عقيدته ومذهبه الكلامي :

لقد كان مكي بن أبي طالب مالكي المذهب مدافعاً له ، فقد عدّه ابن فَرْحون اليَعْمرِيّ من أنصار مذهب الإمام مالك (الديباج المذهب : ٣٤٦) ، من الطبقة الثامنة التي لم ترَ مالكاً من أهل الأندلس، ويتضح مذهب مكي من

خلال تفسيره لآيات الصفات خاصة ، ويقوم مذهبه على ركنين أساسيين (أحمد فرحات ، ١٩٨٣: ١٢) :

أ- أن نثبت لله من الصفات خاصة ، ونقول كما قال ، ونوجب ما أوجب ، ونؤمن بما في كتاب الله ، ولا نتقدم بين يدي الله ولا نكيّف ما لا علم عندنا منه ولا نحدّه " .

ب- نفي الشبه بين الله ومخلوقاته ومباينة صفاته لصفاتهم وذلك اعتماداً على قوله تعالى:" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(الشورى : ١١)

وقد ساهم مكي في نشر مذهب الإمام مالك في الأندلس ، فألّف كتابين هما " إيجاب الجزاء على قاتل الصيد الحرم خطأ في مذهب مالك والحجة على ذلك " ، و" المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره في عشرة أجزاء " (مكي ، ١٩٨٧، مقدمة التحقيق : ١٢) ، وقد كان لرحلاته أثر كبير في تأثره بهذا المذهب، ولكنّ مكياً كان فطناً في أخذ أي رأي فلم يكن مقلداً .

يقول الأستاذ أحمد فرحات " إلاّ أنّ مالكيته لم تقيده ، فلم يكن مالكياً مقلداً ، بل كان مجتهداً ، ولم يكن يلتزم أداء المالكيين في الترجيح ، بل هو يناقش المسائل ، ويأتي بالأدلة ويستشهد بآراء الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب الأخرى ... بل إنه في أحيان كثيرة يرجح غير مذهبه ، وهذا يدل على سعة أفق الرجل وبحثه عن الحق والتزامه " (فرحات ، ١٩٨٣ : ٦٧) .

أهم شيوخه :

في هذه المرحلة الطويلة من عمر مكي بن أبي طالب ، كثر شيوخه وتلامذته في الغرب والشرق ، وقد كان مكي حريصاً في انتقاء شيوخه الذين يأخذ العلم عنهم ، فقد أفرد باباً في كتاب الرعاية بعنوان :- باب

صفة من يجب أن يقرأ عليه ويُنقل عنه ، قال أبو محمد :" يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه ، أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم "(مكي ، ١٩٩٦: ٨٩) .

وصنف مكي العلماء المقرئين إلى قسمين : فمنهم من يعلمه رواية وقياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً فذلك الواهن الضعيف، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتضعيف (مكي ، ١٩٩٦ : ٨٩) .

من هنا يتضح مدى حرص مكي بن أبي طالب فيمن يؤخذ منه العلم ولمن يعطى، فشيوخه لهم صفاتهم التي ارتضاها مكي وهم :

١- ابن أبي زيد القيرواني .

عالم أهل المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، ويقال له : المالك الصغير، كان أحد من برز في العلم والعمل، أخذ عنه كثير من الخلق منهم : الفقيه عبد الرحيم بن العجوز، وعبد الله بن غالب، وأبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني ، له الكثير من المصنفات والنوادر والزيادات" في مائة جزء، وكتاب" العتبية "، وكتاب " إعجاز القرآن "، وكتاب " النهي عن الجدال " وغير ذلك، وعندما توفي رثاه كثير من الشعراء (الذهبي ،١٩٨٣ : ١٢/١٧ ، ابن النديم ، د.ت : ٢٥٣ ، القاضي عياض ، د.ت : ٤/٤٩٢-٤٩٧ ، الحنبلي ، ١٩٨٨ : ٣/١٣١، مخلوف ، د.ت : ١/٩٦) .

٢- محمد أبو بكر بن علي بن أحمد الأدْفوي المصري النحوي المفسّر

(انظر ترجمته في : اليماني ، ١٩٨٦ : ٣٣١ ، السيوطي ، د.ت : ١/١٨٩ ، ابن الجزري ، ١٩٣٣ : ٢/١٩٨) :

أصله من مدينة أدْفو من مدن صعيد مصر، كان خشاباً صحب أبا جعفر النحاس المصري فأخذ عنه وأكثر، كان سيد أهل عصره في مصر

وغير مصر، وأخذ عن غيره من أهل العلم والقرآن والحديث والعربية، صنف في التفسير كتبا مفيدة منها كتابه " الاستغناء " ، وذكر الشيخ الصالح أبو إسحاق الحبّال(هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله النّعماني ، المعروف بابن الحبّال، انظر ترجمته في : القاضي عياض ، د.ت : ٤/٦١٦ ،عبر الذهبي ، د.ت : ٣/٨٥) المصري في وفاته سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

٣- أبوالحسن القابسي :

أبو الحسن علي بن محمد خلف المَعافِري القروي المعروف بابن القابسي ، كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده ، صنف في الحديث كتاب " الملخص "، ولد يوم الاثنين من رجب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال أبو بكر الصقلي: قال لي أبو الحسن القابسي : كُذب عليّ وعليك وسمّوني القابسي، وإنما السبب في ذلك أن عمّي كان يشد عمامته شدة قابسيّة فقيل لعمّي " قابسي " واشتهرنا بذلك ، وإلا فأنا قروي وأنت .

والقابسي بفتح القاف، وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم سين مهملة هذه النسبة إلى قابس، وهي مدينة إفريقية بالقرب من المهدية ، كانت وفاته في ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة، ودفن بالقيروان .

٤- القزاز :

أبوعبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيرواني ، كان الغالب عليه علم النحو واللغة ، كان في خدمة العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر ، وصنّف له كتباً، والقزاز بفتح القاف وزاءين بينهما ألف والأولى منهما مشددة، هذه النسبة إلى عمل القز وبيعه، وقد اشتهر به جماعة، كانت وفاته ــ رحمه الله ــ بالحضرة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وقد قارب السبعين، والمراد بالحضرة القيروان فإنها

كانت دار المملكة آنذاك (انظر ترجمته في : القفطي ، ١٩٥٥ : ٨٤/٣ ، السيوطي ، د.ت : ٧١/١) .

٥- أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون بن المبارك :

مؤلف كتاب الإرشاد في القراءات ، كان حافظاً للقراءة ضابطاً ، ذا عفاف ونسك وفضل وحسن تصنيف ، وكان الوزير جعفر بن الفضل معجباً به ، كان يحضر عنده المجلس مع العلماء ، ولد سنة تسع وثلاثمائة في رجب، ومات بمصر في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة (ابن الجزري ، د.ت : ٧٨/١ ، وفيات الأعيان ، ١٩٧٧ : ٢٧٤/٥) .

ومن شيوخه أيضاً :

في مكة : أحمد بن فراس العبقسي ، أحمد بن علي الحسن الكسائي ، وأبو بكر أحمد بن إبراهيم المروزي ، وأبو العباس السوي ، وأبو الحسن بن زُرَيق البغدادي ، وأبو القاسم عبد الله السَقْطي .

وفي مصر : أبو عدي عبد العزيز بن علي المصري ، وأبو الحسن طاهر بن عبد المنعم ابن غُلبون .

وفي قرطبة : عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القَشِيري ، وسعيد بن رَمشيق الزاهد ، ويونس بن عبد الله بن مغيث قاضي الجماعة في قرطبة .

تلاميذه : (انظر : مكي ،١٩٨٧ : مقدمة التحقيق : ٢٥) .

تتلمذ على يد مكي بن أبي طالب القيسي عدد من التلاميذ، قصدوه طلباً للعلم ، واشتهر معظمهم بالضبط والإتقان والتأليف، نذكر بعضهم مع سنة الوفاة اختصاراً :

١- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن القيسي ت : ٤٣٦ هـ

٢- محمد بن أحمد بن مُطرِف الكناني ت : ٤٥٤ هـ

٣- محمد بن حبيب طاهر الغافقي ت : ٤٥٩هـ
٤- إبراهيم بن محمد الأزدي المقريء ت : ٤٦٢هـ
٥- محمد بن جهور بن محمد بن جهور ت: ٤٦٢هـ
٦- معاوية بن أحمد العقيلي ت : ٤٦٩هـ
٧- محمد بن مكي بن أبي طالب القيسي ت : ٤٧٤ هـ
٨- عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسدي ت : ٤٨٦ هـ
٩- عبد الله بن فرج اليَحْصِبي من أهل طليطلة ت : ٤٨٧ هـ
١٠- عاصم بن أيوب الأديب من أهل بطلياس ت : ٤٩٤ هـ
١١- يحيى بن إبراهيم اللواتي المقرئ ت : ٤٩٦هـ
١٢ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي المقرئ ت : ٥١١ هـ
١٣- جعفر بن محمد بن مكي بن أبي طالب ت : ٥٣٥ هـ

مخارج الأصوات عند مكي بن أبي طالب القيسي :

لقد استخدم علماء العربية القدماء عدداً من المصطلحات التي ترددت في مؤلفاتهم للدلالة على مخارج الأصوات، فقد استعمل مكي مصطلح المخرج والموضع، واستخدم سيبويه مخارج الأصوات، وابن جني دلّ عليها بالمقاطع، وابن دريد استخدم مجاري الأصوات، وأطلق ابن سينا عليها مصطلح المحابس (مرعي ، ١٩٩٣ : ٤٨) ، أما الخليل فقد استعمل المخرج والحيّز والمدرجة والمبتدأ " (آمنة بنت مالك ، ١٩٨٧ : ٢٦١) .

لقد استعمل مكي المخرج عند الحديث عن مخارج الأصوات كلها ، فكان لهذا المصطلح نصيب وافر عنده للدلالة على مخارج الأصوات .

أما الموضع فقد ذكره عند حديثه عن صفات الجهر، والشدة (مكي ١٩٩٦ : ١١٧-١١٩) ، والرخاوة (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٤) ، والقلقلة (مكي ، ١٩٩٦

: ١٢٧)، والهوائية ، ويقول مستخدما هذا المصطلح عن مخرج الغنة :" فهي صوت يخرج من ذلك الموضع " (مكى . ١٩٩٦ : ٢٤٠) .

و ذكر مكي أن عدد أصوات العربية تسعة وعشرون صوتاً ، وسمّاها المشهورة لكثرة استعمالها في الكلام ، فضلاً عن ثلاثة عشر صوتاً جرى استعمالها في الكلام أسماها " الحروف الزوائد المشهورة " (مكي ، ١٩٩٦ : ٢٩٠) ، " فهذه التسعة والعشرون، الحروف المذكورة عظيمة القدر ، جليلة الخطر، لأن بها أفهمنا الله كتبه كلها ، وبها يعرف التوحيد ، ويفهم وبها افتتح الله عامة السور ، وبها أقسم ، وبها نزلت أسماؤه وصفاته، وبها قامت حجة الله على خلقه ، وبها تعقل الأشياء وتفهم الفرائض والأحكام ، وغير ذلك من شرفها كثير لا يحصى" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٩٤) .

و كانت عناية علماء التجويد تتركز على مخارج الأصوات التسعة والعشرين الأصول ، حيث صرفوا نظرهم عن الأصوات الباقية المتممة الاثنين أو الثلاث والأربعين.

ومن الملاحظ من خلال حديث القدماء عن مخارج الأصوات أنهم اختلفوا في عددها، فأشار مكي لذلك في باب أسماه باب الاختلاف في المخارج حيث قال :" اعلم أنّ سيبويه وأكثر النحويين يقولون : إنّ للحروف ستة عشر مخرجاً، للحلق منها ثلاثة مخارج ، وللفم ثلاثة عشر مخرجاً،... و خالفهم الجرمي ومن تابعه فقال: للحروف أربعة عشر مخرجاً ، للحلق ثلاثة مخارج ، وللفم أحدَ عشرَ مخرجاً، وذلك أنه جعل اللام والنون والراء من مخرج واحد ، وجعل لها سيبويه ومن تابعه ثلاثة مخارج متقاربة " (مكي ، ١٩٩٦ : ٢٤٣ ، أبو حيّان ، ١٩٨٨ : ١/٥) .

أما الخليل فقد جعلها ثمانية مخارج فقط (الخليل ، د.ت : ١/٥٧)، ووافق ابن جني سيبويه أنّ عدد مخارجها ستة عشر فقال :" اعلم أنّ مخارج

الحروف ستة عشر " (ابن جني ، ٢٠٠٠ :١/٦٠) ، وذهب ابن يعيش إلى هذا (ابن يعيش ، ٢٠٠١ : ٥/٥١٥).

وجعل مكي للحروف ستة عشر مخرجا إذ يقول " فيجب أن تعلم أنّ للحروف التي تألف منها الكلام ستة عشر مخرجاَ للحلق منها ثلاثة مخارج" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٤٤).

أما علماء اللغة المعاصرون فقد اختلفوا في عدد المخارج، وكذلك في طريقة ترتيبها عن القدماء، " حيث يبدأ ترتيبهم لمخارج الأصوات في أغلب الأحيان من الشفتين وينتهي بالحَنْجرة ، كما جعلوا مخارج الحروف عشرة مخارج، وهذا هو أكثر التقسيمات الشائعة في كتب علماء اللغة المحدثين، وعدّها كمال بشر أحدَ عشرَ مخرجاً ومنهم من جعلها تسعة مخارج مثل الدكتور سعد مصلوح" (عبد القادر مرعي ، ١٩٩٣ : ٦٣ ، كمال بشر ، ١٩٨٧ :٨٩-٩٠ ، سعد مصلوح دراسة السمع والكلام : ٢٠٠-٢٠١).

ويميل المحدثون إلى جعلها عشرة مخارج (تمام حسان ، ١٩٥٥ : ٨٤ ،٨٥، مرعي ، ١٩٩٣ : ٦٣-٦٨)، وهي عندهم :

١- الشفتان : الباء، والميم، والواو .

٢- الشفة مع الأسنان : الفاء .

٣- الأسنان مع طرف اللسان : الذال، والثاء، والظاء .

٤- الأسنان واللثة مع طرفي اللسان ومقدمه : الدال، والتاء، والضاد، والطاء، والسين، والزاي ، والصاد .

٥- اللثة : اللام، والراء، والنون .

٦- الغار : الشين، والجيم، والياء .

٧- الطبق : الكاف، والغين، والخاء .

٨- اللهاة : القاف .

٩- الحلق : الحاء، والعين .

١٠- الحنجرة : الهمزة ، والهاء .

المخارج عند مكي :

لقد قسم مكي مخارج الأصوات من الخلف إلى الأمام، وأوردها كما يلي :

أ- مخارج الحلق :-

١- من آخر الحلق : مخرج الهمزة، والهاء ، والألف، وهو أول المخارج

٢- من المخرج الثاني للحلق: مخرج العين، والحاء .

٣- من المخرج الثالث للحلق: مخرج الخاء ، والغين .

ب- مخارج الفم :-

١- أقصى اللسان وما فوقه من الحنك : وهو مخرج القاف .

٢- ما بعد القاف من مخارج الفم : مخرج الكاف .

٣- بعد مخرج الكاف من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك ، المخرج الثالث من مخارج الفم ، مخرج الشين، والجيم، والياء .

٤- المخرج الرابع من مخارج الفم : من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس : مخرج الضاد .

٥- المخرج الخامس من مخارج الفم : بعد حرف الضاد وهي تخرج من حافة اللسان أدناها إلى منتهى طرفه ، مخرج اللام .

٦- المخرج السادس من مخارج الفم : من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون .

٧- المخرج السابع من مخارج الفم : من مخرج النون ، غير أنها أدخل إلى ظهر اللسان قليلا ، مخرج الراء .

٨- المخرج الثامن من مخارج الفم : من طرف اللسان وأصول الثنايا ، مخرج الطاء ، والدال ، والتاء .

٩- المخرج التاسع من مخارج الفم : مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى ، مخرج الزاي، والسين، والصاد .

١٠- المخرج العاشر من مخارج الفم : مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى مخرج الظاء، والثاء، والذال .

١١- المخرج الحادي عشر من مخارج الفم : من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .

١٢- المخرج الثاني عشر من مخارج الفم : مما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو .

١٣- من الخياشيم مخرج الغنة .

أصوات اللغة ومخارجها عند مكي بن أبي طالب القيسي:

الرقم	الحرف	المخرج
1.	الهمزة	من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر .
2.	الهاء	من وسط المخرج الأول من مخارج الحلق .
3.	الألف	من أول الحلق .
4.	العين	أول المخرج الثاني من مخارج الحلق الثلاثة ممايلي الفم .
5.	الحاء	من المخرج الثاني من الحلق بعد العين .
6.	الخاء	من أول المخرج الثالث مما يلي الفم .
7.	الغين	من آخر المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم

الرقم	الحرف	المخرج
8.	القاف	من المخرج الأول من مخارج الفم ممايلي الحنك من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك .
9.	الكاف	من المخرج الثاني من مخارج الفم .
10.	الشين	من المخرج الثالث من مخارج الفم من وسط اللسان بينه وبين الحنك .
11.	الجيم	تخرج من مخرج الشين من المخرج الثالث من مخارج الفم .
12.	الياء	من المخرج الثالث من مخرج الفم .
13.	الضاد	من المخرج الرابع من مخارج الفم ، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس .
14.	اللام	من المخرج الخامس من مخارج الفم... من حافة اللسان أدناها إلى منتهى طرفه .

الرقم	الصوت	المخرج
١٥.	النون	من المخرج السادس من مخارج الفم ... من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا .
١٦.	الراء	من المخرج السابع من مخارج الفم من مخرج النون غير أنها أدخل إلى ظهر اللسان قليلاً .
١٧.	الطاء	من المخرج الثامن من مخارج الفم ... من طرف اللسان وأصول الثنايا .
١٨.	الدال	من مخرج الطاء .
١٩.	التاء	من المخرج الثامن من مخارج الفم .
٢٠.	الزاي	من المخرج التاسع من مخارج الفم مابين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى .
٢١.	السين	المخرج التاسع من مخارج الفم .

الرقم	الصوت	المخرج
٢٢.	الصاد	المخرج التاسع من مخارج الفم .
٢٣.	الظاء	من المخرج العاشر من الفم وذلك مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا .
٢٤.	الثاء	من المخرج العاشر من مخارج الفم .
٢٥.	الذال	من المخرج العاشر من مخارج الفم .
٢٦.	الفاء	من المخرج الحادي عشر من مخارج الفم من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .
٢٧.	الباء	من المخرج الثاني عشر من مخارج الفم مما بين الشفتين مع تلاحقهما .
٢٨.	الميم	من المخرج الثاني عشر من مخارج الفم .

الرقم	الصوت	المخرج
٢٩.	الواو	من المخرج الثاني عشر من بين الشفتين .
٣٠.	الغنة نون ساكنة	المخرج الثالث عشر من مخارج الفم من الخياشيم .

وأشار مكي إلى تقسيم آخر بناه القدماء على أساس ألقاب الأصوات ، وهو مستمد مما قاله الخليل في كتابه العين، يقول مكي عندما أنهى حديثه عن صفات الأصوات :" فهذه أربعة وثلاثون لقبا للحروف قد بيّناها وشرحناها ، وكل واحد من هذه الألقاب يدل على معنى وفائدة في الحرف ليْسا في غيره مما ليس له ذلك اللقب، وبقيت عشرة ألقاب تمام أربعة وأربعين لقباً، لقبها بذلك الخليل بن أحمد في أول كتاب العين، جعل ألقابها عشرة مشتقة من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف " (مكي . ١٩٩٦ : ١٣٨-١٣٩) ، وهي :

١- الأصوات الحلقية : وهي ستة حروف :" العين، والحاء، والهاء، والخاء، والغين، والهمزة " .

٢- الأصوات اللهوية : وهما حرفان :" القاف، والكاف " .

٣- الأصوات الشجرية : وهي ثلاثة أحرف :" الشين، والضاد، والجيم " .

٤- الأصوات الأسلية : وهي ثلاثة :" الصاد، والسين، والزاي " .

٥- الأصوات النطعية : وهي ثلاثة حروف :" الطاء، والدال، والتاء " .

٦- الأصوات اللثوية : وهي ثلاثة أحرف :" الظاء، والثاء، والذال " .

٧- الأصوات الذّلقيّة : وهي ثلاثة :" الرّاء، واللام، والنون " .

٨- الأصوات الشفهيّة : وهي ثلاثة حروف :" الفاء، والباء، والميم " .

٩- الأصوات الجُوْفيّة : وهنّ ثلاثة حروف :" الألف، والواو ،والياء " .

١٠- الأصوات الهوائيّة : وهنّ الأصوات الجوف .

صفات الأصوات عند مكي بن أبي طالب القيسي :

ا الصفات العامة :

الأصوات المهموسة :

عرّف مكي الصوت المهموس :" أنه حرف جرى مع النفس عند النطق به لضعفه، وضعف الاعتماد عند خروجه فهو أضعف من المجهور" (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٦).

وعدّها مكي عشرة أحرف :الكاف، والسين، والتاء، والشين، والخاء ، والصاد، والهاء، والحاء، والفاء، والثاء، ويجمعها هجاء قولك :" ستشحثك خصفه " ، أو هجاء " سكت فحثه شخص "(مكي ، ١٩٩٦ : ١١٦ ، مكي ، ١٩٨١ : ١٣٩/١) ، ولعل هذا التعريف يطابق ما جاء به سيبويه عند تعريف الصوت المهموس حيث قال: " وأمّا المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " (سيبويه، ١٩٩٩ : ٥٧٤/٤) .

وقد اتبع سيبويه في هذا التعريف معظم علماء العربية القدماء مثل: المبرد، وابن السراج، وابن جني، والسكاكي، وابن يعيش وغيرهم من علماء اللغة وعلماء القراءات (مرعي ، ١٩٩٣ : ١٠٣) .

" وبعض هذه الأصوات المهموسة أضعف من بعض، فالصاد والخاء أقوى من غيرهما؛ لأن في الصاد إطباقاً واستعلاءً وصفيراً، وكل هذه الصفات من صفات القوة، وفي الخاء استعلاء " (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٦، مكي ١٩٨١ : ١٣٩/١) .

وقد عرّف المحدثون المهموس بــ :" أنه الصوت الذي لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان عند النطق به" (السعران ، د.ت : ٨٨) .

ونجد الخلاف بين علماء اللغة القدماء وعلماء اللغة المحدثين في أصوات

ثلاثة، هي " القاف، والطاء، والهمزة "، فقد عدّها القدماء من الأصوات المجهورة ، أما المحدثون فمن خلال التجارب العلمية الحديثة ، أثبتوا أنهنّ خاليات من صفة الجهر ، فهن مهموسات .

ويذكر لنا سيبويه طريقة نعرف بها الصوت المهموس ، وذلك بإمكانية ترديد الصوت مع جري النفس ، حيث قال: " ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه " (سيبويه . ١٩٩٩ : ٥٧٤/٤) .

يقول ابن جني: " وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو...ههههه، ولو تكلفتَ مثل ذلك في المجهور لما أمكنك" (ابن جني ، ٢٠٠٠ : ٧٥/١) .

و يعلل مكي سبب إطلاق مصطلح الهمس على هذه الأصوات قائلاً : " وإنّما لقب هذا المعنى بالهمس، لأنّ الهمس هو : الحسّ الخفي الضعيف، فلمّا كانت ضعيفة لقبت بذلك ، قال الله جلّ ذكره :" فلا تسمع إلا همساً " (طه : ١٠٨) ، قيل هو حسّ الأقدام " (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٦).

وقال ابن دريد: " وإنّما سميت مهموسة لأنه اتسع لها المخرج ، فخرجت كأنّها متفشية" (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٦) .

وتحدث الدكتور سمير استيتية عن آراء من سبقه من المحدثين عن هذه الصفة قائلاً :" لا خلاف بين الدرس اللغوي المعاصر وما ذهب إليه علماء العربية من أسلافنا في الحكم على المجهور من أصوات العربية ، ... ولا خلاف بيننا وبينهم في الحكم على الأصوات التالية بأنها مهموسة، وهي : التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والفاء، والكاف، والهاء، ولكنّ الخلاف بيننا وبينهم على الأصوات الثلاثة الآتية : الهمزة ، والقاف، والطاء، فقد صنّفوها بأنّها مجهورة " (استيتية ، د.ت: ٥٢٤)

ونرى أنّ الاختلاف قد ظهر بين المحدثين أنفسهم حول صوت الهمزة

أمجهورة أم مهموسة، فانقسم العلماء إلى فريقين ؛ الأول يرى بأنّها مهموسة، ومن أصحاب هذا الرأي الدكتور عبد الرحمن أيوب، والدكتور تمّام حسّان .

ذكر الدكتور عبد الرحمن أيوب متحدثا عن الهمزة بأنها: " صوت حنجري انفجاري مهموس " (أيوب ، د.ت : ٩٦) ، ووصفها الدكتور تمّام حسان بأنها: " صوت حنجري شديد مهموس مرقق، يتم نطقه بإقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاماً، وحبس الهواء خلفها ثم إطلاقه بفتحها فجأة ، ويطلق على هذا الصوت عادة اصطلاح " وقفة حنجرية" ، وتأتي جهة الهمز في هذا الصوت من إقفال الأوتار الصوتية معه ... ولكن النحاة والقراء أخطأوا فعدّوا هذا الصوت مجهوراً ، وهو أمر مستحيل استحالة مادية ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة أثناء نطقه " (حسّان ، ١٩٥٥ : ٩٧).

وقد عزا هذا الفريق القائل بهمسها، أنّ القدماء وصفوها بالجهر نظرًا إلى الطريقة التي يتذوقون بها الأصوات كي يحددوا صفاتها ومخارجها ، فقد كان الخليل يفتح فاه بالألف " الهمزة " ، ثم كان يأتي بالصوت الذي يريد أن يصفه ساكناً " أخ ، أب ،أن .... " (الخليل ، د.ت ١/٤٧) .

وأما الفريق الثاني فيرى أنّ الهمزة صوت مجهور، ومنهم كمال بشر، حيث يقول منتقداً من قال بهمسها :" وهناك من الدارسين المحدثين من يرى أنّ الهمزة صوت مهموس، ويبدو أنّهم يقصدون بالهمس حينئذ عدم الجهر، وهو رأي غير دقيق؛ إذ إنّ هناك حالة ثالثة: هي حالة وضع الأوتار عند النطق بالهمزة العربية، ولنا أن نقولَ في تفسيرهم هذا : أنّهم لاحظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة، وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار، ففي هذه الحالة تكون الأوتار في وضع الهمس، ولكنّ هذا السلوك منهم غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة، إذ إنّ الهمزة العربية لا يتم

نطقها في هذه المرحلة الثانية وحدها، إنما تكون بمرحلتين :

الأولى : مرحلة انطباق الوترين، وفيها ينضغط الهواء من خلفها فينقطع النفس .

الثانية : مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثا انفجارًا مسموعاً .

وهاتان المرحلتان متكاملتان، ولا يمكن الفصل بينهما أو النظر إلى إحداهما دون الأخرى ، ولنا أن نقول – على عكس ما يفترضون – ، إنّ المرحلة الأولى وهي مرحلة قطع النفس أهم في تكوين الهمزة من المرحلة الثانية، ومن ثم كانت تسميتها همزة قطع، وفي هذه المرحلة الأولى تكون الأوتار في وضع الجهر والهمس معاً " (بشر ، ١٩٨٧ : ١١٢)

ومن علماء اللغة المعاصرين من يرى أنّ الهمزة ليست بالصوت المجهور ولا بالمهموس، ومنهم أحمد مختار عمر الذي وصف الهمزة لا بالمجهور ولا بالمهموس (أيوب ، د.ت : ٢٧٧) ، وقد ذكر هذا الدكتور إبراهيم أنيس قائلاً :" فالهمزة إذن صوت شديد، لا هو بالمهجور ولا بالمهموس، لأنّ فتحة المزمار مغلقة إغلاقاً تاماً، فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ، وذلك الانفراج الفجائي ينتج الهمزة " (أنيس ، ١٩٧٥: ٩٠).

الأصوات المجهورة :

يعرّف مكي الصوت المجهور بـــ :" أنه حرفٌ قوي يمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه "(مكي ، ١٩٩٦ : ١١٧) .

وعدّها مكي بن أبي طالب غير ما ذكر من المهموسة :" وهذه الحروف هي ما عدا المهموسة المذكورة قبل ذلك " (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٧ ، مكي ، ١٩٨١ : ١٣٧/١)

وهنّ الألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والزاي، والدال، والذال، والطاء، والظاء ، والباء، والواو، والهمزة، والميم ، وقد جمعها بعض العلماء المتأخرين من علماء التجويد بقولك :" عظم وزن قارئ ذي غض جد طلب "(نصر ، د.ت : ٤٤) ، أو ظل من ربض إذ غز جند مطيع طلى .

وهذا التعريف لمكي مأخوذ من تعريف سيبويه القائل :" فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجريَ معه حتى ينقضيَ الاعتماد عليه ، ويجريَ الصوتُ ، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أنّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيها غنة، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك، ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلّ بهما" (سيبويه ، ١٩٩٩ : ٥٧٤/٤) .

ويعقب الدكتور إبراهيم أنيس في معرض الانتقاد على تعريف سيبويه، أنه لا يزال بحاجة للشرح والإبانة قائلاً : " غير أنّ وصف سيبويه لمعنى الجهر والهمس في الأصوات يحتاج لمزيد من الشرح والتفسير، لأنّ كثيراً من الدارسين الآن يحارون في فهمه ، وقد قنع الذين جاؤوا بعد سيبويه بترديد ألفاظه بنصها حين تحدثوا عن الجهر والهمس في الأصوات، فلم نجد في كتبهم ما يعين على فهم ما عناه سيبويه حين عرّف المهموس والمجهور، بل حتى السيرافي الذي اشتهر بشرحه لكتاب سيبويه قد اضطرب في كلامه في هذا الصدد ، فلا يكاد يستقر على رأي واضح يتمسك به " (أنيس ، ١٩٧٥ : ٨٨).

وعزا ما يذكره إبراهيم أنيس من اضطراب في تعريف الجهر والهمس إلى عدم معرفة العلماء القدماء للوترين الصوتيين، وما طبيعة عملهما وأهميتهما في تحديد صفات الأصوات، وهذا مردّه إلى عدم وجود وسائل التشريح أو بدائيتها التي تعينهم على الوصف الدقيق، فكان اعتمادهم على الملاحظة الذاتية .

و ذكر مكي أنّ " الأصوات المجهورة أقوى من المهموسة " (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٦) ، وذلك من خلال إدراكه الأثر السمعي للمجهور، عندما علل لنا الصوت المجهور بقوله:" لأنّ الجهر الصوت الشديد القوي، فلما كانت في خروجها لقّبت به لأنّ الصوت يجهر بها لقوتها " (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٧).

وقد اختلف علماء اللغة المعاصرون مع علماء اللغة القدماء في صوتي القاف والطاء، إذ عدّهما القدماء صوتين مجهورين ، في حين عدّهما علماء اللغة المعاصرون صوتين مهموسين ؛ ولعلّ هذا الاختلاف راجع إلى التطور الذّي أصابهما " فانقلب بهما الحال من الجهر إلى الهمس " (حسان ، ١٩٥٥ : ٩٤-٩٥) ، فالقاف العربية القديمة كانت صوتاً مجهوراً إذ كانت تنطق على صورتين ، الأولى أنّه كان ينطق على شكل (g) أي كاف مجهورة ، أو على شكل صوت قريب من صوت الغين ، وكلاهما مجهور ، بينما نجد القاف كما يقرأ بها مجيدو القراءات صوتاً مهموساً لا يتذبذب فيه الوتران الصوتيان .

وصوت الطاء القديم كان مجهوراً ، أي ربّما كان على هيئة صوت الضاد الحديثة ، وهو صوت مجهور ، بينما نجد صوت الطاء الحديثة صوتاً مهموساً ، لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان .

الأصوات الشديدة :

من الصفات العامة المشتركة بين الأصوات ما يسمى بالشدة والرخاوة، فقد اعتمد مكي في وصفه للأصوات لهاتين الصفتين معيار جريان الصوت مع الرخوة، وعدم جريانه مع الشديدة، ويذكر مكي الحروف الشديدة : الألف، والجيم، والدال، والكاف، والقاف، والطاء، والباء، والتاء ، ويجمعها هجاء قولك:" أجدك قطبت " (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٧ ، مكي ،١٩٨١ : ١/١٣٧).

ويعرف مكي الشديد بقوله :" إنّه حرف اشتدّ لزومه لموضعه، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجريَ معه عند اللفظ به "(مكي ، ١٩٩٦ : ١١٧).

ومن خلال تعريفه يتبين من قوله : اشتدّ لزومه لموضعه، أنّها تدل على حدوث اتصال محكم بين عضوي المخرج ، فينحبس الهواء برهة من الزمن، وبعد ذلك يخرج بقوة محدثاً صوتاً انفجارياً .

ولعل مكياً عدّ صفة الشدة من صفات القوة لهذا السبب ، يقول عن هذا: " والشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء،فذلك غاية القوة في الحرف، فإذا اجتمع اثنتان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة كالطاء" (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٧ ، ١١٨).

ويقول:" واعلم أنّ القوة في الحرف تكون بالجهر، وبالشدة ، وبالإطباق، والتفخيم، والتكرير، وبالاستعلاء، وبالصفير، والاستطالة، وبالغنة، والتفشي " (مكي ، ١٩٨١ : ١/١٣٧) .

الأصوات الرخوة :

عرّف مكي الصوت الرخو قائلا: " إنّه حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به؛ فجرى معه الصوت فهو أضعف من الشديد " (مكي ، ١٩٩٦ : ١١٩) .

وهي عنده ثلاثة عشر حرفاً :" الثاء، والخاء، والذال، والظاء، والغين، والشين، والزاي، والحاء، والفاء، والصاد، والضاد، والسين، والهاء ،" يجمعها هجاء قولك : ثخذ ظغش زحف صه ضس، وهي ماعدا الشديدة وهجاء قولك : " لم يروعنا "(مكي ، ١٩٩٦ : ١١٩).

ويمثل لنا الصوت الرخو بصوتي السين والشين، إذ يقول: " ألا ترى أنك تقول: "الس"، "الش"، فيجري النفس والصوت معهما، وكذلك أخواتها بخلاف الشديدة "(مكي ، ١٩٩٦ : ١١٨) .

وقد فرّق علماء اللغة الأقدمون بين النفس والصوت إذ يقول ابن جني: " اعلم أنّ الصوت عرضٌ ، يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرَضَ له حرفاً "(ابن جني ، ٢٠٠٠ : ١/١٩).

" ويبدو أنّ ابن جني من خلال تعريفه السابق يقصد بالنفس، الهواء الصاعد من الرئتين والذي لا يحمل أي ذبذبة صوتية، كما أنّه يقصد بالصوتِ الذبذبات الصوتية التي تصاحب النفس في أثناء مروره من الحنجرة حتى وصوله إلى مخارج الحروف، وهناك يتشكل صوت الحرف وفقاً لطبيعة المخرج " (مرعي ، ١٩٩٣ : ٩٣) .

والاختلاف بين القدماء والمحدثين في هاتين الصفتين يظهر في صوتي الضاد والجيم، إذ عدّ القدماء صوت الجيم شديداً، وصوت الضاد رخواً ، وأما المحدثون عدّوا صوت الجيم مزدوجاً ، أي يجمع بين الشدة

والرخاوة ، والضاد تؤيدها الدراسات الحديثة من الأصوات الشديدة (النعطية، ١٩٨٣ : ٤٦-٤٧).

ويذكر الدكتور كمال بشر أنّ تعريف القدماء للأصوات الشديدة لا يزال فهمه صعباً إذ يقول:" وقد عرض العرب لمجموعة من الأصوات سمّوها الأصوات الشديدة ، وعرفوها تعريفاً يصعب فهمه، ولكنّ أمثلة الأصوات الشديدة التي ذكروها تشير إلى أنهم يقصدون بالشديدة تلك الأصوات إلى سمّيناها الانفجارية " (بشر ، ١٩٨٧ : ١١٥) .

وإضافة إلى صوتي الضاد والجيم ، فقد اختلف المحدثون عن القدماء في صوت العين، فهو عند القدماء صوتٌ متوسط ، أما المحدثون فقد صنّفوه ضمن الأصوات الرخوة ، في حين ذكر الدكتور عبد الغفار هلال ناقلاً عن الأستاذ إبراهيم أنيس: " أنّ صوت العين لا زال مبهماً عند المحدثين، والعين عند القدماء متوسط على حين أنه لم يتضح للمحدثين أمره " (هلال ، ١٩٨٨ : ١٧٤).

ويشير عبد القادر مرعي إلى الاختلاف بين القدماء والمحدثين قائلاً :" ونجد هنا أنّ رأي اللغويين المحدثين يخالف رأي علماء العربية القدماء في صفة صوتي " الضاد والجيم "، إذ عدّ القدماء صوت الجيم شديداً وصوت الضاد رخواً ، أما علماء اللغة المحدثون فهُم يعدّون صوت الجيم الفصيحة مزدوجاً يجمع بين الشدة والرخاوة " (مرعي ، ١٩٩٣ : ١١٠).

أما الضاد فقد اختلف المحدثون عن القدماء في وصفهم لصوت الضاد، فقد جاء وصف مكي لها: " تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم ، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ، وهو حرفٌ قوي لأنه مجهور مُطبَق من حروف الاستعلاء وفيه استطالة" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٨٤).

ويذكر مكي وصف الخليل لمخرج الضاد : بأنه من الأصوات الشجرية مع صوتي الشين والجيم ، ويضيف إلى قول الخليل أنّ الشجر: هو مخرج الفم " وقال الخليل : الشجر مفرج الفم ، أي مفتحه وقال غيره : الشجر : مجتمع اللحيين " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٤٠) .

ولاحظ مكي تشابهاً بين صوت الضاد والظاء في السمع حيث قال:" ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظهما واحداً ولم يختلف في السمع "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٨٤).

ويشير في موضع آخر لهذا المعنى " ولولا اختلاف المخرجين بينهما وزيادة الاستطالة التي في الضاد لكانت الظاء ضاداً "(مكي ، ١٩٩٦ : ٢٢٠)

.

واستطالة الضاد عند مكي تشير إلى امتداد خروج الصوت إلى خروج اللام، إذ يقول : " الحرف المستطيل، وهو الضاد سمّيَ بذلك لأنه استطال على الفم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام ، ... واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام لقرب مخرج اللام من مخرجها" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٤).

وعدّ مكي الذال صوتاً قريباً من مخرج الضاد، وحذّر لهذا عند حديثه لما يجب أن يتنبه إليه قارئ للقرآن " ومتى لم تتحفظ بترقيق الذال في اللفظ دخلها تفخيم يؤدي بها إلى الإطباق فتصير عند ذلك ظاءً أو ضاداً "(مكي ، ١٩٩٦ : ٢٢٤).

ويشير مكي إلى صعوبة نطق الضاد قائلاً :" والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج، وأشدهما صعوبة على اللافظ ، فمتى لم يتكلّف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها، وأخلّ بقراءته ، ومن تكلف ذلك

وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعا وسجية "(مكى ، ١٩٩٦ : ١٨٥) .

نستخلص من كلام مكي أنّ الإخلال في نطق مخرج الضاد وصفتها ينتج عن ذلك نطقان :

الأول : نطقها كالظاء كما أشرنا، وهذا الخلط بين هذين الصوتين الضاد والظاء لم يقف على نطقهما، بل تجاوز هذا إلى كتابة هذين الصوتين، فوجدنا علماء العربية ينبهون على هذا الخلط ، فوضعوا كثيراً من الدراسات تتحدث عن هذين الصوتين .

وأورد مكي اختلافاً بين أئمة القرّاء في نطق الضاد والظاء، في قوله تعالى :" بضنين"(التكوير : ٢٤) ، قرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء على معنى (متهم)، أي ليس محمد بمتهم، وروت عائشة – رضي الله عنها – أنّ النبي – صلّى الله عليه وسلّم– كان يقرأ " بظنين" تعني بالظاء (مكي ، ١٩٨١ : ٣٦٤/٢) .

الثاني : نطقها كالذال المفخمة التي تشبه الضاد لقربها من الظاء، ويشير مكي لهذا قائلاً :" وإذا وقع بعد الذال حرفٌ مفخم، راء أو لام، وجب التحفظ بترقيقها لئلا تتبع تفخيم ما بعدها، فيدخلها الإطباق وتصير ظاءً " (مكي ، ١٩٩٦ : ٢٢٥).

وفي النظر للصور المختلفة التي تنتج عن نطق الضاد نطقاً غير صحيح من مخرجها المحدد لها، يظهر لنا ست صور مختلفة : الضاد الضعيفة، وهي التي حذر منها مكي القارئ ، والصورة الثانية الذال المفخمة وهي ظاء، والصورة الثالثة الطاء ، أو الدال المفخمة ، أما الرابعة فهي اللام المفخمة، والخامسة الضاد المزدوجة بالذال، والأخيرة الضاد

المشمّة زاياً (ابن يعيش ، ٢٠٠١ : ٥/٥٢١ ، أبو حيان ، ١٩٨٨ : ١/١٥- ١٦ ، السيوطي، د.ت : ٦/٢٩٦).

فالضاد القديمة التي وصفها علماء العربية القدماء، تكاد تكون قد انتهت في النطق الحالي، إذ أصابها كثير من التطور حتى أصبحت صوتاً شديداً في النطق الحالي . (مرعي ، ١٩٩٣ : ١١٠) .

يقول هنري فليش : ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهي عبارة عن صوتٍ مفخم، يحتمل أن يكون ظاءً جانبية، أي أنه يجمع بين الظاء واللام في ظاهرةٍ واحدة، وقد اختفى هذا الصوت فلم يعد يسمع في العالم العربي، وأصبح بصفة عامة إما صوتاً انفجارياً، وهو مطبق الدال ، وإما صوتاً أسنانياً وهو الظاء (فليش ، د.ت :٣٧) .

الأصوات المطبقة :

يذكر مكي أنّ أصوات الإطباق أربعة :" الطاء، والظاء، والصاد، والضاد" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٢) ،ويفسر مكي سبب تسميتها بأصوات الإطباق قائلاً :" لأنّ طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف ، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٢).

ويعرّف سيبويه الإطباق وهي التي :" إذا وضعت لسانك في مواضعهن، انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف "(سيبويه ، ١٩٩٩ : ٤/٤٧٥).

ويشير مكي إلى أنّ هذه الأصوات ، هي أصوات التفخيم فهو عند حديثه عن أصوات التفخيم يقول :" وهي حروف الإطباق المذكورة ، يتفخم

اللفظ بها لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك "(مكي ، ١٩٩٦: ١٢٨-١٢٩)
.

وكان سيبويه أول من قسّم الأصوات إلى مطبقة ومنفتحة، وذكر أنّ المطبقة أربعة أصوات: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء ، والمنفتحة كل ما سوى هذه الأربعة من الأصوات(سيبويه ، ١٩٩٩: ٤/٤٧٥) ، ولم يخرج من جاء بعده عن فهمه لهذه الصفة " (المبرد ، ١٩٩٩ : ١/٢٢٣ ، ابن جني ، ٢٠٠٠ : ١/٧٦ ، ابن عصفور ، ١٩٧٢ : ٢٠/٦٧ ، وتنقسم أيضاً إلى منطبق ومنفتح : ابن يعيش ، ٢٠٠١ : ٥/٥٢٤) .

وكذلك لم يخرج مكي عن هذا الوصف لهذه الأصوات ، إلا أنّه اختلف عن سيبويه بدلاً من استخدام مصطلح الصوت ، استخدم مصطلح الريح ، وربما لو أنه استخدم الصوت في وصف الظاهرة الصوتية ، لكان أكثر صواباً ودقة فيها، علماً أنّ هذه الصفة الأساسية للأصوات التي اختصّت فيها، ولو حدث أي تغير لتحوّل الصوت إلى صوتٍ آخر فاقد لهذه الصفة، وخاصّة صوت الضاد إذا فقد هذه الصفة صار صوتاً غير مألوف في مفهومنا، يذكر لنا مكي هذا الفهم قائلاً: " ولولا الإطباق والاستعلاء اللذان في الطاء لكانت دالاً " (مكي ، ١٩٩٦ : ٢١٧)، ويقول :" ولولا الإطباق والاستعلاء والجهر اللواتي في الطاء لكانت تاءً "(مكي ، ١٩٩٦ :٢١٧) .

وحروف الإطباق تتفاوت في قوتها،" وبعضها أقوى في الإطباق من بعض، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها لجهرها وشدتها، والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والصاد والضاد متوسطتان في الإطباق "(مكي ، ١٩٩٦ :١٢٢ ، ١٢٣) .

ولم يحدد مكي لنا أجزاء اللسان التي تنطبق مع الحنك لإحداث عملية الإطباق، غير أنّنا نجد في قوله طائفة من اللسان ، إشارة إلى ذلك فمعلوم

أنّ طرف اللسان يتصل مع مغارز الأسنان واللثة عند نطقنا الطاء، ويقترب منها عند نطق الصاد، ويتصل بأطراف الأسنان عند نطق الظاء، أما الضاد فإن ما يتصل بالأسنان ــ الأضراس ــ عند خروجها من اللسان إحدى حافتيه أو كلتيهما مع ارتفاع مؤخر اللسان عند نطق هذه الأربعة كلها، لأنّها مفخمة ، فالطائفة من اللسان عنده تشمل طرف اللسان وأقصاه وحافتيه، ومع الإطباق ينحصر الصوت بين اللسان والحنك الأعلى، ثمّ يخرج إمّا على هيئة انفجارٍ كما في الطاء التي عدّها أقوى الأربعة إطباقاً لجهرها وشدتها(معبد ، ١٩٩٨ : ١١٢ ، مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٢-١٢٣).

وقد عرّف المحدثون الإطباق كما عرّفه القدماء ، فيعرّفه المحدثون :" بأنه ارتفاع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى، في شكل مقعرٍ على هيئة ملعقة، بينما يكون طرفه مع جزء آخر من أجزاء الفم، مشكلاً محبساً من المحابس الصوتية المختلفة " (الأنطاكي ، ١٩٦٩ :١٦٧).

وأصوات الإطباق عند المحدثين نفسها عند القدماء ، إلا أنّ بعضاً من المحدثين أضاف إليها ثلاثة أصوات :" الخاء، والقاف، والغين "(حسّان ، د.ت :٦٣).

الأصوات المنفتحة :

ويعرفها مكي :" وإنّما سمّيت بالمنفتحة لأنّ اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بين اللسان والحنك، وتخرج الريح عند النطق بها " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٣) أي أنّ مجرى الصوت بين اللسان وبين الحنك الأعلى يكون مفتوحاً، ويكون اللسان مسترخياً في وسط الفم .

قال مكي : " وهي خمسة وعشرون صوتاً ، وهي ما عدا أصوات الإطباق المذكورة "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٣)، وهنّ الألف، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، والياء، والهمزة .

الأصوات المستعلية والمستفلة :

أصوات الاستعلاء عند مكي سبعة :" منها الأربعة أحرف الإطباق المذكورة، والغين، والخاء، والقاف "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٣) ، وقد جمعوها في هجاء قولك :" خص ضغط قظ " (نصر ، د.ت : ٤٩).

ويفسّر مكي سبب تسميتها بهذا الاسم قائلاً :" لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك، فينطبق الصوت مستعلياً بالريح، مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق المذكورة، على هيئة ما ذكرنا، ولا ينطبق مع الخاء والغين والقاف، إنّما يستعلي الصوت غير منطبق بالحنك " شي(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٣) .

ويقابل صفة الاستعلاء صفة الاستفال ، قال مكي :" وهي اثنان وعشرون حرفاً، وهي ما عدا الحروف المستعلية المذكورة "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٣) ، وهنّ الألف، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والعين، والفاء، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، والياء، والهمزة .

ويذكر سبب تسميتها فيقول :" وإنّما سمّيت مستفلة لأنّ اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك كما يستعلي عند النطق

بالحروف المستعلية المذكورة، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها"(مكى ، ١٩٩٦ : ١٢٤).

ويُلاحَظ من حديث مكي عن هاتين الصفتين، أنّ الذي يعلو إلى الحنك وينطبق عليه في أربعة أحرف هو اللسان وليس الصوت ، ويدلنا على ذلك حديث مكي عن الأصوات المستفلة كما ذكرنا إذ قال :" لأنّ اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك ... بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٤).

ولعلّ من الملاحظ أنّ علماء التجويد الذين بحثوا في الظواهر الصوتية، جعلوا معيار الاستعلاء مؤخر اللسان ، كما ذكر محمد نصر قائلاً :" إنّ المعتبر في الاستعلاء استعلاء أقصى اللسان، سواء استعلى معه بقية اللسان أو لا، وحروف وسط اللسان وهي الجيم، والشين، والياء، لا يستعلي بها إلا وسط اللسان ، والكاف لا يستعلي بها إلا ما بين أقصى اللسان ووسطه، فلم تعد هذه الأربع مستعلية، وإن وجد فيها استعلاء اللسان لأنّ استعلاءه في هذه الأربع ليس مثل استعلائه بالحرف المستعلي"(نصر ، د.ت : ١٠٢) .

وعند حديثه عن صفة الاستعلاء، ميّز مكي بين حروف الاستعلاء وبين الإطباق، وذلك عندما قسّم أصوات الاستعلاء إلى سبعة أصوات ، صنفها إلى مجموعتين : أربعة يستعلي اللسان معها مع انطباقه على الحنك، وهذه الأصوات المطبقة، والثلاثة المتبقية هي الغين، والخاء، والقاف يستعلي اللسان معها دون إطباق.

وحديثه عن ارتفاع اللسان يعني به انطباق مؤخرة اللسان أو أقصاه ، وهذا لا يعني انطباق اللسان كله ، وهذا يبدو متجلياً عند نطق الغين،

والخاء، والقاف، أمّا الأصوات المطبقة فيرتفع اللسان طرفه وأقصاه ، لهذا وصف مكي صفة الاستعلاء بالتفخيم .

وصفة الاستعلاء "من الصفات القوية"(مكي ، ١٩٨١ : ١/١٣٧)، التي تمنع أصواتها بأن تدغم بأصوات ضعيفة، وإن حدث هذا الإدغام فإنّ أثر الصوت القوي يبقى هو الأكثر تجلياً ووضوحاً كما في " ألم نخلقكم " (المرسلات : ٢٠)، بين القاف والكاف (مكي ، ١٩٩٦ : ١٧٢)، فأثرُ القاف أقوى من أثر الكاف .

ولا ترتفع مؤخرة اللسان تجاه الحنك عند النطق بالأصوات المستفلة، غير أنّ الراء واللام قد يصيبهما نوعٌ من الاستعلاء في بعض الأحيان، فيرتفع معهما مؤخر اللسان كما في الأصوات المستعلية ، ويحدث هذا عندما يجاور هذان الصوتان صوتاً مفخماً .

وظاهرة استعلاء اللسان إلى الحنك الأعلى مع الأصوات المستعلية، عامل مهم في منع حدوث الإمالة، لذلك نجد سيبويه يذكر مصطلحي الاستعلاء والاستفال في (باب ما يمتنع من الإمالة، من الألفات التي أملتها فيما مضى) ، وقال بعد أن ذكر حروف الاستعلاء السبعة :" وإنّما منعت هذه الحروف الإمالة لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى " (سيبويه ، ١٩٩٩ : ٤/٢٤٤)، وقال :" فالانحدار أخفّ عليهم من الإصعاد "(سيبويه ، ١٩٩٩ : ٤/٢٤٥) .

الأصوات المصمتة والأصوات المذلقة :

في بداية حديثه عن هاتين الصفتين، صرّح مكي أنّ كلامه عنهما مستمدّ من كلام ابن دريد (ت٣٢١ هـ) ، وابن دريد اعتمد بدوره على

الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ)، في تفسير هذين الوصفين وشرحهما(ابن دريد ، د.ت : ٧/١).

يقول مكي :" فبهذين اللقبين لقبّ ابن دريد الحروف كلّها قال : ومعنى المصمتة – على ما فسّره الأخفش – أنّها حروف أصمتت ، أي منعت أن تختص ببناء كلمة من لغة العرب، إذا كثرت حروفها لاعتياصها على اللسان، فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة كثيرة الحروف، أعني على أكثر من ثلاثة أحرف، حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، وذلك لاعتياصها وصعوبتها على اللسان" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٥، ١٣٦) .

ويرى مكي أنّ مصطلح " المصمتة "، مشتق من الفعل صمت ، أي منع نفسه الكلام ، فهي ممنوعة من أن تنفرد بنفسها في كلمة طويلة (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٥، ١٣٦) .

فهذه الصفة " الإصمات "، تدل على ثقل أصواتها، وصعوبة نطقها على اللسان، فلهذا لا نجد هذه الأصوات تنفرد ببناء لكلمة رباعية أو خماسية دون مصاحبة الأصوات المذلقة .

والأصوات المصمتة " وهي ما عدا الحروف الستة " يعني الأصوات المذلقة " ، وهي اثنان وعشرون حرفاً، ثلاثة منها معتلات وهن : الواو، والياء، والهمزة ، وتسعة عشر صحاح ، والألف خارجة عن المذلقة والمصمتة لأنّها هواء لا مستقر لها في المخرج (مكي ، ١٩٩٦ :١٣٦) ، و ما قاله مكي، يوافق ابن دريد (ابن دريد ، د.ت : ٨/١) ، ويخالف مذهب الخليل الذي ذكره الأزهري في إخراج أصوات العلة " الواو، والياء، والهمزة " وعدّها تسعة عشر صوتاً صحاحاً (الأزهري ، ٢٠٠٠ : ٦٥/١)، ويقصد مكي هنا بالهمزة صوت الألف .

أمّا الأصوات المذلقة فقد جاء في كتاب الرّعاية :" معنى الحروف المذلقة – على ما فسّره الأخفش – أنّها حروف عملها وخروجها من طرف اللسان، وأحسنها انشراحاً وأكثرها امتزاجا بغيرها، وهي ستة أحرف : ثلاثة تخرج من الشفة ولا عمل للسان فيها، وهي " الفاء، والباء، والميم "، وثلاثة تخرج من أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى ، وهن " الراء، والنون، واللام " ، يجمع الستة هجاءً قولك :" فرّ من لب "، فهذه الستة هي المذلقة " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٦) .

قال الخليل : " أصوات الذلاقة تتكون من ستة أصوات ، هي " الراء، واللام، والميم، والنون، والفاء، والباء " ، فإن وردت كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق ، فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب " (الخليل ، د.ت : ٥٨/١) ، وفي هذا يقول ابن جني :" وفي هذه الحروف الستة سرٌّ طريف ينتفع به في اللغة، وذلك أنك متى رأيت اسماً رباعياً أو خماسياً غير ذي زوائد، فلا بدّ فيه من حرف من هذه الستّة أو حرفين ، وربما كان فيه ثلاثة، وذلك نحو جعفر ففيه الفاء والراء، وقعضب فيها الباء وسلهب فيها اللام والباء ... فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معراة من بعض هذه الأحرف الستة، فأقض بأنّه دخيل في كلام العرب وليس منه " (ابن جني ، ٢٠٠٠ : ٧٨/١) .

والحقيقة أنّ كل من تحدث عن صفة المصمتة والمذلقة، أشار إلى دور الخليل وسبقه في هذا الموضوع ، ومنهم مكي ، فقد أشار مكي إلى ريادة الخليل وجهوده في هذا المجال بوضع الضوابط ، وذلك من خلال استقراء كلام العرب، والتوصل إلى أنّ الأصوات المذلقة لخفتها وسهولة نطقها فإنها تعدّ من أكثر الأصوات شيوعاً في كلام العرب، خاصّة في أبنية الأسماء الرباعية والخماسية غير المزيدة، فنحن لا نجد بناءً إلا وفيه

صوت أو أكثر من الأصوات الستة المذلقة، فقد أثبت صحة هذا ما أورده بعض المحدثين من خلال تطبيق هذه القاعدة على سور القرآن الكريم، أو إحصاء جذور الكلمات في بعض المعاجم "(العطية ، ١٩٨٣ : ٥٤).

ويقول مكي عن هاتين الصفتين بأنّ وجه الاختلاف بين الصفتين، أنّ الأصوات المذلقة مستحبة على اللسان، والأصوات المصمتة مستثقلة عليه وصعبة (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٧).

يقول في هذا الدكتور عبد القادر مرعي :" ونرى أنّ السبب في تضمن الكلمات الرباعية أو الخماسية على صوتٍ من أصوات الذلاقة، ربما يعود لتباعد مخارج هذه الأصوات، فكلما تباعدت مخارج الأصوات كانت في التأليف أحسن ، وإذا تقاربت الأصوات في مخارجها قبح اجتماعها والتأليف منها " (مرعي ، ١٩٩٣ : ١٢٣).

الأصوات الزوائد " المذبذبة " :

الأصوات المذبذبة، أطلقها مكي على الأصوات التي تكون زائدة عن أصل الكلمة، ويجمعها هجاء قولك: " سألتمونيها "، أو قولك :" اليوم تنساه "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٠) ، ويعدّ مكي أول من أطلق على هذه الأصوات مصطلح الأصوات المذبذبة ، ولذلك فهو يعد مبتكراً لهذا المصطلح، ولم يسبقه إليه أحدٌ من علماء العربية القدماء " (مرعي ، د.ت : ١٣ ، بحث منشور).

ويعلل سبب تسميتها بالزوائد لأنّه " لا يقع في كلام العرب حرف زائد في اسم أو فعل إلا من هذه العشرة أحرف المذكورة، يأتي زائداً على وزن الفعل ، ليس فاء ولا عيناً ولا لاماً ، وقد يجتمع في الفعل زائدتان منها وثلاث زوائد منها، نحو : انطلق واستكبر، الهمزة والنون والسين والتاء

زوائد، وقد يجتمع منها أربعة في المصادر نحو: استكبارا الهمزة والسين والتاء والألف زوائد "(مكي، ١٩٩٦ : ١٢١).

وقد وصفها بالأصوات المذبذبة ،لأنّها قد تقع حروفاً أصولاً أيضاً إذ يقول: " وقد تقع هذه الحروف أصولاً غير زوائد في مواضع أُخر، إلا الألف فإنّها لا تكون أصلاً إلا منقلبة عن حرف آخر" (مكي ،١٩٩٦ : ١٢١) .

وعلل تسميتها بالمذبذبة: " لأنّها لا تستقرّ على حال تقع مرة زوائد، ومرة أصولاً، وسائر الحروف غيرها لا تقع إلا أصلاً إلا الألف " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢١) .

الأصوات الأصلية :

وهي ما عدا الأصوات الزائدة أو المذبذبة السابقة، وهي تسعة عشر حرفاً ، وهي حروف المعجم كلها ما عدا هجاء قولك :" اليوم تنساه "،أو " سألتمونيها " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٢).

ويشير مكي إلى سبب تسميتها بالأصوات الأصلية :" لأنّها لا تقع أبداً في كلام العرب في الأسماء والأفعال إلا أصولاً، إما فاء الفعل أو عينه أو لامه" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٢).

ب الصفات الخاصة :

حروف التفخيم :

يعرف مكي حروف التفخيم بقوله :" وهي حروف الإطباق المذكورة يتفخَم اللفظ بها لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٨ – ١٢٩) ، وهذه الهيأة للسان تحدث لنا تقعراً مناسباً في الفم، تمنح

الأصوات المطبقة صفة تفخيميّة أكثر من غيرها من الأصوات التي تشترك معها في المخرج ، بسبب انحصار الصوت بين ظهر اللسان والحنك الأعلى؛ لارتفاع أقصاه وتراجعه إلى الجدار الخلفي للحلق من جهة، واتصال طرف اللسان عند مخارج هذه الأصوات من جهة أخرى ، فينحرف الصوت بين المنطقة المقعرة من وسط اللسان وما يقابلها من الحنك ، ويبدو أنّه ركّز على هذا الحصر في بيان قوة هذه الأصوات، فذكر لنا أنّ " الطاء " أقواها في الإطباق والتفخيم (مكي ، ١٩٩٦ : ١٩٨) .

ووصف الظاء بضعف الإطباق لانحراف اللسان عن أصول الثنايا، مما يسمح بخروج الهواء المحصور بينهما، وهي إشارة إلى رخاوته في المخرج .

وذكر أنّ الصاد والضاد متوسطتان في الإطباق، ونجد مكياً قد اعتمد طريقة مرور الهواء في مخارج هذه الأصوات في تحديد قوة الإطباق والتفخيم في الأصوات المطبقة ، والتفخيم في هذه الأصوات الأربعة يميزها من أخواتها في المخرج نفسه، ولولاها لكانت الصاد سيناً ، والظاء ذالاً ، والطاء تاءً ، أي فقدان هذه الصفة يحوّل أصواتها إلى أصوات أخرى فترقق :

صار ← سَارَ

sâra → s̲âra

حضر ــــ حذَرَ

haḍara ــــ hadara

ويشير مكي إلى أنّ أصواتاً أخرى يلزمها التفخيم من خلال السياق، بتأثير حركته أو حركة ما قبلها وبعدها في السياق من جهة، أو لأنها

وقال أيضاً: " واعلم أنّ الترقيق في الراء إمالة نحو الكسر " (مكى ، ١٩٨١ : ٢٠٩/١) ، وهو يقصد حركتها، لأنّ الرّاء لا تمال إلى صوت غيرها، وإنّما الإمالة في الفتحة والألف لتقريبها من الكسرة والياء .

وكثيراً ما يلازم التفخيم الراء، إذا كانت مفتوحة أو مضمومة عندما تكون متحركة، نحو :" خرج ، و رُبّ ، و عشرون ، و فُرقة " ولا يجوز تفخيمها إذا أميلت فتحتها نحو الكسر(مكي . ١٩٨٥ : ١٤٠) ؛ لأنّ الإمالة والتفخيم ضدان لا يجتمعان في صوت واحد، أما الراء الساكنة فإنها تفخم إذا كان قبلها أو بعدها حرف إطباق أو استعلاء غير مكسور(مكي ، ١٩٨٥ :١٤١) ، نحو " قرطاس ، رصد ، ضرب " ، فإذا انفتح ما قبلها أو انضم فهي مرققة نحو :" ترجعون ، وكرسيه " (مكي ، ١٩٨٥ : ١٤٢) ، أما اللام فقد ذكر مكي أنّها أكثر ما يقع لفظ اللام مرققاً غير مغلظ (مكي ، ١٩٨١ : ٢٢٠/١) ، وفسّر تفخيم اللام في بعض المواضع قائلاً :" اعلم أنّ اللام حرف يلزمه تفخيم وتغليظ لمشاركته الراء في المخرج ، والراء حرف تفخيم " (مكي ، ١٩٨١ : ١/ ٢١٨).

وفي موضع آخر قال: " فلمّا استعلمت العرب في الرّاء التفخيم والترقيق فعلت مثله في اللام ، والتفخيم في اللام أقل منه في الرّاء " (مكي، ١٩٩٦ : ١٨٨) .

وفي حديثه عن تفخيم اللام، ذكر مكي موضعين لتفخيمها، وهما في لفظ الجلالة " الله " إذا كان قبلها فتحٌ أو ضم ، يقول مكي: " والتفخيم لازمٌ لاسم الله – جلّ ذكره – إذا كان قبله فتحٌ أو ضمٌ ، نحو" قال الله "، " ويعلم الله " وشبهه ، ولا تفخم اللام من" قال" ، إنّما التفخيم في اللام المشددة من اسم الله – جلّ ذكره – "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٩ ، وترقيق اللام والراء كلام يطول الحديث عنه لا طائل لنا فيه هنا) .

وقد وافق المحدثون القدماء في تعريف مصطلح التفخيم ، يقول الدكتور أحمد مختار عمر :" والتفخيم معناه ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلا في الطبق اللين، وتحركه إلى الخلف قليلا في اتجاه الحائط الخلفي للحلق ، ولذلك يسميه بعضهم الإطباق(Velarization)، بالنظر إلى الحركة العليا للسان، ويسميه بعضهم التحليق(Pharyngalization) ، بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان " (مختار ، ١٩٧٦ : ٢٧٩) .

أما الدكتور رمضان عبد التواب فيقول :" الأصوات المفخمة في العربية هي : الصاد، والضاد، والطاء، والظاء ، فهذه الأصوات وإن كان مخرج الثلاثة الأولى منها من الأسنان واللثة، ومخرج الرابعة من بين الأسنان ، فإنّ مؤخرة اللسان تعمل معها ، كذلك فالتفخيم أو الإطباق وصف لصوت لا ينطق في الطبق ، وإنّما ينطق في مكان آخر وتصحبه ظاهرة عضلّية في مؤخرة اللسان "(عبد التواب ، ١٩٨٢ : ٦٧).

ويصف الدكتور عبد القادر مرعي التفخيم قائلاً بأنه :" يحدث نتيجة تقعر وسط اللسان، وارتفاع مقدمته، وتراجع مؤخره قليلاً، وهذا ما يؤدي إلى اتّساع حجر الرنين الصوتي، وكلما اتسعت حجر الرنين ازداد الصوت تفخيماً وهذا ما نجده في صوت الناي ، فكلما اتسع فراغ الناي ، ازداد الصوت الناتج عنها تفخيماً، وكلما ضاق فراغها كان صوتها رقيقاً " (مرعي ، ١٩٩٣ : ١٥٤) .

و قسّم الدكتور أحمد مختار عمر أصوات التفخيم إلى ثلاثة أنواع (مختار ، ١٩٧٦ : ٢٧٨-٢٧٩) :

أ- أصوات كاملة التفخيم أو مفخمة من الدرجة الأولى وهي الصاد ، والضاد، والطاء، والظاء، واللام المفخمة .

ب-أصوات ذات تفخيم جزئي أو مفخمة من الدرجة الثانية وهي الخاء، والغين، والقاف.

ج- صوت يفخم في مواقع، ويرقق في مواقع وهو الراء .

لقد أدرك مكي العلاقة بين الإطباق والاستعلاء، ووصفها بالتفخيم لاشتراكها بارتفاع اللسان معهما باتجاه الحنك العلوي، وهذا إشارة واضحة إلى سَبْق مكي للمستشرق جان كانتينو الذي جمع أصوات الإطباق والاستعلاء تحت مصطلح " التفخيم " (كانتينيو ، ١٩٦٦ : ٣٧)

حروف الصفير :

ذكرها مكي ثلاثة أحرف، ووصفها بالصفير وهي : الزاي، والسين، والصاد (مكي ، ١٩٩٦: ١٢٤) ، وقد سبق مكيا في استعمال هذا المصطلح علماء العربية كسيبويه (سيبويه ، ١٩٩٩ :٥٩٧/٤ ، المبرد ، ١٩٩٩ : ٢٢٤/١) .

وعرّف ابن الطحان الصفير قائلا ً:" والصفير حدّة الصوت ، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب " (ابن الطحان ، ١٩٩١ : ١٣٢) .

وقد وصف مكي هذه الصفة قائلاً :" إنما سميت بحروف الصفير لصوتٍ يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير ، ففيهن قوة لأجل هذه الزيادة التي فيهنّ "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٤).

وقال في موضع آخر في تحديد صفة الصفير :" وحقيقة الصفير أنّه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا، تسمع له حسّاً ظاهراً في السّمع" (مكي ، ١٩٩٦ : ٢١٢) ، فهو يشير إلى شدة وضوح هذه الأصوات في السّمع ، نتيجة الاحتكاك الشّديد الذي يصاحب نطق هذه الأصوات من مخرجٍ يكون طرفاه أكثر تقارباً من بعضهما، قياساً إلى تقارب طرفي المخرج مع غيرهما من الأصوات الرخوة، وقد أشار إلى أنّ

موضع خروج الهواء يكون من بين الثنايا من غير تحديدها بصفة العليا أو السفلى ، مما يدل على خروجها من بين الثنايا العليا والسفلى معاً، مع أنّه في كلامه عن مخرجها حددها بالسفلى ، كما رأينا عند الحديث عن مخارج الأصوات .

لعلّ مكياً قد عبّر عن هذا الصوت بالصفير، مستمداً إيّاه من أصوات الطبيعة ، وفي تعريفه الثاني عبر عنه بمصطلحين يرادفان مصطلح الصوت ،هما" اللفظ والحسّ " فكلاهما من خلال التعريف يوحي بأنّهما أثرٌ سمعي ينتج عن حركة أعضاء النطق اختياراً .

والصفير من الصفات القوية التي يتميز بها الصوت فلا يمكن التنازل عنه عند الإدغام ، فإدغام حروف الصفير تكون مع بعضها .

وإن أدغم صوتٌ فيها زادت قوته بالصفير الذي فيهما ، فقد ذكر مكي أنّ من أجاز إدغام الدال في الزاي احتج بأنّ " الزاي فيها قوة بالصفير الذي فيها ، فإذا أدغمت الدال فيها أبدلت منها زاياً وهي أقوى من الدال ، فنقلت الدال إلى حرف هو أقوى منها بالإدغام " (مكي ، ١٩٨١ :١/ ١٤٤)، وكرّر ذلك في كلامه عن إدغام دال " قد" في الصاد (مكي ،١٩٨١ : ١/١٤٥) ، وإدغام ذال " إذ " في السين والصاد والزاي (مكي ، ١٩٨١ : ١٤٧ ،و١٤٩) ، حتى أنّه عند احتجاجه لمن أدغم الذال في السين عدّ جهر الذال موازياً في القوة لصفير السّين ، بل إنّه رأى تفوّق الصفير في القوة على الجهر هنا في قوله :" والذال فيها تضعفها كالسّين، وفيها جهرٌ يقويها يوازي الصفير الذي في السين ، والصفير أقوى " (مكي ، ١٩٨١ ١/ ١٤٩).

وفي مكان آخر ذكر تفوّق الصفير على الشدة ، عند إدغام تاء التأنيث في السين حين قال : " ... فحسن الإدغام لأنك لا تنقل الأول إلى ضعف ،

بل تنقله إلى مثل حاله من القوة والضعف، على أنّ الصفير أقوى في الشدة فحسن الإدغام " (مكي ، ١٩٨١ :١/ ١٥١) .

نلاحظ أنّ مكياً قد اقترب كثيراً من الدراسات الصوتية الحديثة في فهم مصطلح الصفير، فقد وصفت أصواتها بشدة خروج الصوت معها، وهي إشارة إلى قوة احتكاكه بطرفي مخرجه للتقارب الكبير بينهما ، كما بيّن أنّ لأصوات الصفير قوة تصويت عالية في السمع ، ومع جهة القوة والضعف عدّ مكي الصفير صفة قوية، لها تأثير كبير في عملية إدغام أصواتها فيما بينهما أو مع غيرها .

حروف القلقلة :

ويقال لها :" اللقلقة" ، وهي خمسة أحرف ، يجمعها هجاء قولك : " جد بطق " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٤) ،أو هجاء قولك:" قطب جدّ " ، ويعلل مكي سبب تسميتها قائلاً:" وإنّما سمّيت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن، وإرادة إتمام النطق بهن، " فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٤) .

وقال ابن الطحان معرفاً لها : " القلقلة صوتٌ حادثٌ عند خروج حروفها بالضغطة عند موضعها، ولا يكون إلا في الوقف، ولا يستطاع أن يوقف دونها مع طلب إظهار ذاته" (ابن الطحان ، ١٩٩١ : ٩٦ ، ٩٧) .

من الملاحظ أنه دلّ على صوت النبرة عند الوقف على هذه الأحرف، ولكنه لم ينفِ وجوده معهن عند الوصل، ودليل هذا استعماله صيغة التفضيل أبين ، فمن المعلوم أنّ استعمال الصيغة لا ينفي القدرة عن الأول وإنما يثبتها للثاني بأفضلية، فكان كلامه للدلالة على أنّ الصوت الظاهر "

النبر " معها – أي الأصوات المذكورة – والمراد به إتمام النطق بها في الوقف أبين منه في الوصل بهن .

وقد أطلق مكي مصطلح " الصوت الزائد " على ذلك الصوت الظاهر مع أصوات القلقلة، وخاصة القاف الذي عدّه أصلاً لصفة القلقلة ، وهذا رأي نقله مكي عن غيره حين قال :" وقيل : أصل هذه الصفة القاف ؛ لأنه حرف ضُغِطَ عن موضعه فلا يُقدر على الوقف عليه إلا مع صوت زائد لشدة ضغطه واستعلائه، ويشبهه في ذلك أخواته المذكورات معه " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٤) .

وقد جاء في الرّعاية أنّه يوجد رَبْط بين معنى القلقلة اللغوي، وبين معناها الاصطلاحي حيث قال مكي :" وقد قال الخليل القلقلة : شدة الصياح، وقال: اللقلقة : شدة الصوت ، فكأنّ الصوت يشتد عند الوقف على القاف، فسميت بذلك لهذا المعنى، وأضيف إليها أخواتها لما فيهن من ذلك الصوت الزائد عند الوقف عليهن، والقاف أبينها صوتاً في الوقف لقربها من الحلق وقوتها في الاستعلاء " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٥) .

لعلّ مكياً قد أدرك وضوح القلقلة مع القاف أكثر من أخواتها، فهذا الصوت شديد مستعلٍ، يرتفع أقصى اللسان معه ، وعند الوقف يزداد الضغط على مخرجه فيصير أكثر إحكاماً في الغلق ، يصعب إخراجه على الناطق إلا مع صوت زائد ينتج عن قلقلة موضعه وتحريكه ، ولم يحدد لنا مكي نوع الصوت الزائد مع القلقلة .

يستخلص الباحث مما سبق :

١- أنّ مكياً عدّ أصوات القلقلة خمسة أصوات :" القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال"، وهي أصوات يظهر فيها جلياً صفة الشدّة .

٢- أنّ مكيا شعر بصويت زائد عند الوقف عليها بعد ضغط مخرج صوت القلقلة ، وتشديد الغلق فيه، ولكنّه لم يحدد جنس هذا الصوت الزائد على الرّغم أنّه قد شبهه بالنبرة التي تدل إمّا على ارتفاعه مع الصوت وإمّا على الهمزة .

ويضيف بعض العلماء المحدثين صوت الهمزة لهذه الأصوات .

وقد أضاف بعض القدماء من علماء العربية الهمزة على حروف القلقلة، حيث يقول الشيخ محمد مكي نصر: " ... ثم اعلم أنّ بعضهم أضاف إلى حروف القلقلة الخمسة الهمزة، معللاً ذلك بأنّها قد اجتمعت فيها الشدة والجهر، كما هو شأن أحرف القلقلة " (نصر ، د.ت : ١٥) .

ولكن البعض الآخر قد أخرج الهمزة من حروف القلقلة لأسباب :

١- أنّ أصوات القلقلة عند الوقف بها يظهر صوت يشبه النبرة، ونعلم أنّ صوت الهمزة هو النبر ذاته بدليل قول مكي :" الهمزة هي النبر ذاته " (الخليل ، د.ت : ١٨٩/٥ ، مادة نبر).

٢- ما جاء به المقدسي في شرحه على الجزرية بقوله :" إنّما أخرج الجمهور الهمزة من حروف القلقلة ، لما يدخلها من التخفيف حالة السكون، ففارقت أخواتها ولما يعتريها من الإعلال "(نصر ، د.ت :٥٣).

وقد وافق علماءُ العربية المحدثون علماءَ العربية القدماء في معنى القلقلة وفي أصواتها، إلا أنّ المحدثين ركزوا على جانب الشدة أو الانفجارية في هذه الأصوات، على الرّغم من أنّ القدماء قد أدركوا هذه الصفة في هذه الأصوات " (مرعي ، ١٩٩٣ : ١٢٢).

ويعرف الدكتور عبد القادر مرعي القلقلة قائلاً :" هي إضافة صويت إلى أصوات (قطب جد) أثناء الوقوف عليها في حالة السكون ، ويظهر هذا الصويت على شكل انفجار من الفم " (مرعي ، ١٩٩٣ : ١٢٢)، ويطلق

حروف المد واللين :

ذكر مكي أنّ حروف المد ثلاثة أحرف : الألف، والواو الساكنة التي قبلها ضمة ، والياء الساكنة التي قبلها كسرة ، وإنّما سمّيت بحروف المد لأنّ مدّ الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهنّ ، مع ملاصقتهن لساكن بعدهن ، أو همزة قبلهن أو بعدهن ، ولأنهنّ في أنفسهنّ مدّات " (مكي ، 1996 : 125) .

يلاحظ من كلامه أنّ أصوات المد عنده الألف، والياء، والواو، التي تكون حركة ما قبلهن من جنسهن ، لذا صرن في أنفسهن مدّات كما قال .

وارتبطت وظيفة مدّ الصوت في الكلام بهن ، فأطلق عليهن مصطلح حروف المدّ، أما وصفهن بحروف اللين فقد علل ذلك قائلاً : " وإنّما سمّين بحروف اللين لأنهنّ يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات، بخلاف سائر الحروف" (مكي ، 1996 : 126)، ومن هذا نستنتج مدى اتساع مخرج هذه الأصوات، حيث يمر الهواء جرّاً دون احتكاك مع أعضاء المجرى الصوتي ، ويذكر مكي أنّ الألف هي الأصل لصفتي المدّ واللين ، والياء والواو تشبهان الألف في جوانب عدة ، فصارا مثلها صوتي مد .

ومن هذه الجوانب " أنّهما ساكنتان كالألف، ولأنّ حركة ما قبلها كالألف، ولأنهما يتولدان من إشباع الحركة التي قبلهما كالألف، ولأنهما يعرب بهما كالألف ، ولأنهما يبدلان عن الألف ، والألف تبدل منهما في أشباهٍ لهذا " (مكي ، 1996 : 125 ، 126) .

وقد أسماها بعض المحدثين بالأصوات الطليقة ، وعرّفها الأنطاكي :" أصوات لا يجد الهواء معها عقبة تعترض طريقه في أي نقطة من نقاط القناة الصوتية " (الأنطاكي ، 1969 : 227 ، مرعي ، 1993 : 126) .

يعرب بهما كالألف ، ولأنهما يبدلان عن الألف ، والألف تبدل منهما في أشباه لهذا " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٥ ، ١٢٦) .

وقد أسماها بعض المحدثين بالأصوات الطليقة ، وعرّفها الأنطاكي :" أصوات لا يجد الهواء معها عقبة تعترض طريقه في أي نقطة من نقاط القناة الصوتية " (الأنطاكي ، ١٩٦٩ : ٢٢٧ ، مرعى ، ١٩٩٣ : ١٢٦) .

وأسماها البعض الآخر بتسميات أخرى كحروف العلة (حسّان ، ١٩٥٥ : ١٠٨ ، مرعي ، د.ت : ٢٨٠) والعلل أو الصوائت (مختار ، ١٩٧٦ : ١١٣) ، ويسميها الدكتور رمضان عبد التواب أصوات العلة أو الحركات وعرّفها بقوله :" أنها هي الأصوات المجهورة التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معها أحياناً، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضيق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً (عبد التواب ، ١٩٨٢ : ١٠٨ ، مرعي ، ١٩٩٣ : ١٢٦) .

ويسميها جان كانتينو حروف المدّ (كانتينو ، ١٩٦٦ : ٣٨) ، ويتفق علماء اللغة المحدثون، وعلماء اللغة القدماء في تحديد مصطلح الأصوات اللينة، وإن اختلفوا في تسمية هذا المصطلح ، فالذي عناه القدماء بأصوات اللين هو أصوات المد أو الحركات الطويلة (مرعي ، ١٩٩٣ : ١٢٦) .

حرفا اللين :

قال مكي في الرعاية : " وهما: الواو الساكنة التي قبلها فتحة ، والياء الساكنة التي قبلها فتحة ، وإنّما سميتا بذلك لأنّهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان ، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغيّر حركة ما قبلهما

عن جنسهما فنقصتا المدّ الذي في الألف وبقي فيهما اللين لسكونهما ، فسميتا بحرفي اللين (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٦).

هذا المصطلح استخدمه مكي للدلالة على صوتي الواو والياء المفتوح ما قبلهما، وفسّر وصفهما باللين من خلال الملاحظة الذاتية التي قاربت الوصف الحديث لهذين الصوتين، إذ تعتبرهما الدراسة الصوتية الحديثة أنهما من أصوات المدّ الاحتكاكية، وتحدث عن زيادة ارتفاع اللسان معهما اكثر من ارتفاعه مع أصوات المدّ المحض ، لذا يتعرض الهواء معهما لبعض الإعاقة يظهر على هيأة احتكاك خفيف (يقول أنيس أنّ " دلّت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الحفيف " ، ١٩٧٥ : ٤٢) ، وظهور هذا الاحتكاك ميّزهما عن الواو والياء المديتين اللتين تخرجان من غير كلفة على اللسان، لذلك فرّق بينهما بإسقاط صفة المدّ من " الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما " ، أي الاحتكاكيتين ، كما عزا نقص المد فيهما إلى نقصهما عن مشابهة الألف " أصل المد " بانفتاح حركة ما قبلهما، وفقدهما إحدى خصائص المدّ في أصوات المدّ وهي كون حركة ما قبله من جنسه ، واحتفظتا بالخاصية الأخرى وهي سكونهما فسميتا بحرفي لين ، فكأن المد عند مكي مرتبط بالخاصية الأولى ، واللين مرتبط بسكونها ، ولا يعني إسقاط صفة المد من صوتي الياء و الواو الاحتكاكيتين " حرفا اللين " أنّ المد فيهما غير جائز ، بل المد فيهما موجود في أنفسهن غير أنه أنقص من المد في أصوات المد المحض، و يظهر النقص في السياق كذلك عند ملاصقة " نصف المد " الهمزة أو عند وقوعه قبل ساكن مشدد، قال مكي :" و يكون المد أيضاً في حرفي اللين إذا أتت بعدهما همزة أو مشدد ، وحرفا اللين الواو والياء الساكنتين اللتان قبلهما فتحة نحو: " شيء"، سوء" (مكي ، ١٩٨١ : ١/٤٥).

الأصوات الخفية :

ذكر مكي أنّ الأصوات الخفية : " أربعة الهاء ، و حروف المدّ و اللين المتقدمة الذكر، و إنّما سمّيت بالخفية لأنّها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف ٍ قبلها، إنما لفظها في هذا خفي بين حرفين، أو بعد حرف أو حروف الهواء " (مكي . ١٩٩٦ : ١٢٧) .

و يلاحظ أنّ الخفاء هنا يشير إلى عدم تمكن هذه الأصوات من مخارجها، وعدم استيفاء صفاتها في النطق ، مما يجعلها خفية دون الأصوات المجاورة لها، أي أنها تكون أقل أثرًا في السمع مما يجاورها ، فالهاء توصف بالخفاء لأنها خفية في ذاتها لما فيها من صفات الضعف الهمس، والرخاوة، وسعة المخرج، لذا كان أثرها في السمع ضعيفاً، وقد رأى مكي أن الهاء لضعفها قد جرى تقويتها بالزوائد الواو والياء في نحو:

فيهي fīhī منهو minhū

كما أنّها لضعفها لا يعتمد بها حاجزاً بين ساكنين مجتمعين من الصوامت.

أمّا أصوات المدّ فإنها من الأصوات الواضحة في السّمع ، و قد وصفها القدماء بالخفية لخفاء مخرجها ، إذ لم يستطع القدماء تحديد طرفي مخرجها من أعضاء النطق، ومكان أو موضع اتصال الأعضاء ونوعه، وهذا ما استخلصه الباحث من قول مكي في الألف حين قال :" والألف أخفى هذه الحروف ،لأنها لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها، ولا لها مخرج تنسب على الحقيقة إليه، ولا تتحرك أبداً ولا تتغير حركة ما

قبلها، ولا يعتمد اللسان عند خروجها على عضوٍ من أعضاء الفم (مكي ، ١٩٩٦ : ١٥٨ ، ١٦٠ ،مكي، ١٩٨١ :١/٤٢ ، ٤٣).

من الملاحظ أنّ هناك تقارباً بين أصوات المدّ والهاء، وذلك اتساع مخارجها، ومن جهة أخرى هناك تباعد واضح ، وذلك أنّ الهاء غير واضحة في السمع ، في حين توصف أصوات المدّ بقوة ذلك .

وقد أضاف مكي لبيان هذه الصفة ما قاله بعض العلماء قائلاً: " إنّ في الهمزة خفاءً يسيراً، وكذلك النون الساكنة فيها خفاء" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٨)، وخفاء الهمزة أكثر ما يكون في الوقف عند إبدالها بصوت مدّ من جنس حركة ما قبلها، أو حركتها في أثناء تخفيفها، فوصفها بالخفاء جاء من قلبها إلى صوت مدّ ، وكذلك توصف الهمزة بالخفاء في الوقف إذا كان قبلها صامت، مثل: جزء ، سوء ، يستهزئ ، ولكنّ المتحدث هنا قد يقصّر في نطقها وإعطائها حقها من الأداء، لذا أوصى مكي القارئ بضرورة إظهارها في هذا الموضع للخفاء الذي فيها من قوله : " ويجب على القارئ إذا وقف على الهمزة وهي متطرفة بالسكون أن يطلب اللفظ بها، وإظهارها في وقفه لأنها لمّا بَعُد مخرجها وضَعُفت وأتت في آخر الكلمة، وذهبت حركتها للوقف وضَعُفت بالسكون صعب إظهارها في الوقف ، وخيفَ عليها النقص فلا بد من إظهارها عند الوقف والتكلف لذلك " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٥٠-١٥١) .

ويلاحظ من النص السابق أنّ الخفاء صفة للهمزة ، بسبب اتساع مخرجها عند قلبها صوت مدّ ، وأضاف بعض اللغويين وصفها بالخفاء إذا كان قبلها صوت مدّ خالص، نحو :" رجاء ، سوء " ، ولإظهار الهمزة الخفية في هذا الموضع زيدَ مدّ صوت المدّ لتحقيق نطق الهمزة المتكلف على المتكلم (ابن جني ، ٢٠٠٠ : ١/ ٩٩).

حروف العلة :

لقد فصل مكي بين مصطلحي حروف المدّ وحروف العلة فصلاً تاماً، فقد ذكر أنّ:" حروف العلة أربعة : الهمزة ، وحروف المدّ واللين الثلاثة، وإنّما سمّيت بحروف العلة لأنّ التغيير والعلة والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها، تعتل " الياء" و"الواو" فتنقلبان " ألفاً " مرة، و" همزة " مرة أخرى ، نحو : كال، وقال، وسقاء، ودعاء، وتنقلب الهمزة " ياءً " مرة، و " واواً " مرة و " ألفاً " مرة أخرى ، فتقول: راس وبوس وبير " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٨) ، وجعلها ابن الجزري ثلاثة حروف حين قال:" وزاد جماعة الهمزة "، فهي مضافة عنده (ابن الجزري ، ١٩٨٦ : ١٠٣).

ولكثرة تغير الهاء فقد أدخلها قوم إلى حروف العلة، إذ يقول مكي: " وقد أدخل قوم في هذه الحروف " الهاء "، لأنها تنقلب همزة في ماء وأيهات، لأن أصله ماه وهيهات (مكي ، ١٩٩٦ : ١٢٨) ، وقد حلت محل الهمزة في قراءة من قرأ " إياك نعبد " (الفاتحة :٤): هياك نعبد ، د.ت : ٧٨). والحقيقة أنّ حروف العلّة هي : الألف، والاو، والياء، وأمّا الهمزة والهاء فلا علاقة بينهما وبين حروف العلّة ، وأنّ صفاتهما تختلف عن صفات العلّة من حيث الجهر والهمس والوضوح السمعي ، إذ إنّ الهاء والهمزة صوتان مهموسان وأصوات العلّة أصوات مجهورة وواضحة في السمع أكثر من الهمزة والهاء .

الصوت المكرر :

وهو عند مكي " الراء "، سمي بذلك لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به كأن طرف اللسان يرتعد به ، وأظهر ما يكون إذا كانت الراء مشددة (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٠، ١٣١) .

قال سيبويه :" المكرر وهو حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه " (سيبويه . ١٩٩٩ : ٥٧٥/٤) .

وقال ابن جني :" وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير، ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين " (ابن جني ، ٢٠٠٠ : ٧٧/١) .

والتكرير تضعيف في نطق الراء، لهذا كان يوصي مكي القارئ بوجوب إخفاء التكرير فيها نحو قوله :" ولابد في القراءة من إخفاء التكرير" (مكي : الرعاية : ١٣١) ، ويعرف التكرير قائلاً: " والتكرير هو ارتعاد طرف اللسان بالراء مكرراً لها، فإخفاء ذلك التكرير لا بدّ منه"(مكي ، ١٩٩٦ : ١٩٦).

ويتوافق مكي مع الدراسات الحديثة في وصفها الراء، بأنه صوت تكراري مجهور، يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخياً في طريق الهواء من الرئتين، فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة ، وهذا معنى التكرار في الراء " (عبد التواب ، ١٩٨٢ : ٤٨) .

وقد استخدم العلماء الذين سبقوا مكياً هذا المصطلح بالمفهوم نفسه، وخاصة سيبويه وأتباعه ، غير أنّ مكياً عدّ إظهار تكريره في قراءة القرآن أمراً غير جائز .

والتكرير من الصفات القوية في الصوت ولا يمكن التنازل عنها بسهولة عند إدغام الراء (مكي ، ١٩٨١ : ١٣٧، ١٥٧) .

ولم يخرج معظم المحدثين عن تعريف الصوت المكرر كما وصفه القدماء وعرّفوه "(بشر ، ١٩٨٧ : ١٢٩ ، السعران ، د.ت : ١٧١) .

ويلاحظ أن الراء مكررة في معظم لغات العالم " فهي في معظم اللغات مكررة أو ترددية (Trill) يتم نطقها في مقدمة اللسان مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية يطلق عليه أحيانا اسم المهتز(Vibrant) لأن إنتاجها يصاحبه دائما ذبذبة في الأوتار الصوتية أو اللسان أو اللهاة (باي ، ١٩٧٣ : ٨٦).

الصوت الراجع :

خصّ مكي مصطلح الصوت الراجع بالميم الساكنة حين قال :" وهو الميم الساكنة ، سميت بذلك لأنها ترجع في مخرجها إلى الخياشيم لما فيها من الغنة " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٨) .

وذكر مشاركة النون الساكنة لها في هذا المخرج قائلا :" ويجب أن يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة ، لأنها ترجع أيضاً إلى الخياشيم للغنة التي فيها " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٨).

من الملاحظ أن النون الساكنة التي ذكرها مكي يمكن أن تشمل التنوين، ونون توكيد الفعل الخفيفة ، فضلاً عن النون المتحركة التي يصحبها غنة تخرج من الخياشيم، على الرّغم من تحديد مخرجها في الفم،لأنّ حركتها لا تمنع من خروج صوتها من الأنف ، وإلى هذا أشار مكي عند حديثه عن الغنة قائلاً :" وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون غير المخفاة ، وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة وللتنوين لأنه نون ساكنة ، وللميم الساكنة " (مكي ، ١٩٩٦ : ٢٤٠).

وقد سبق مكياً المبرد في هذا المصطلح للميم الساكنة حين قال :" والميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة " (المبرد ، ١٩٩٩ : ٢٢٤/١) .

والدراسات الصوتية الحديثة توافق مكيا في وصفه لهذين الصوتين، حيث إنّ الهواء يحبس حبساً تاماً في موضع من الفم عند نطق هذين الصوتين، ثم يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء المصاحب للصوت من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط (مرعي ، د.ت : ١٥ ، السعران ، د.ت : ١٦٨) .

وقال صاحب التمهيد :" الحرف الراجع وهو الميم الساكنة ، سميت بذلك لأنها ترجع في مخرجها إلى الخياشيم لما فيها من الغنة، وينبغي أن يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة لأنها ترجع أيضاً إلى الخياشيم للغنة التي فيها " (الجزري ، ١٩٨٦ : ١٠٩) .

حرفا الغنة :

قال مكي :" وهما النون، والميم الساكنتان ، سميتا بذلك لأنّ فيهما غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بها " (مكي ، ١٩٩٦: ١٣١)، وقال ابن منظور :" الغنة صوت في الخياشيم " (الخليل ، د.ت : ١٣٤/١٠ ، مادة غنن) . وقد عدّ مكي صفة الغنة زائدة فيهما " كالإطباق الزائد في حروف الإطباق، وكالصفير الزائد في حروف الصفير " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣١)، وقد ذكر أنّ هذه الزيادة تلحق صوت التنوين كذلك، وذكر أنّ الغنة من علامات القوة في الحروف (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣١ ، مكي ، ١٩٨١ :١٣٧/١)، وهي صوت يخرج من الأنف" الخياشيم "(مكي ، ١٩٨١ :١٦٢/١).

وقد عرّف مكي الغنة قائلا: " الغنة : نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشيم ، وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون غير المخفاة ... وللتنوين ــ لأنه نون ساكنة ــ وللميم الساكنة" (مكي : الرعاية : ٢٤٠).

نستخلص من كلام مكي عن الغنة، أنها عنده صوت تابع للنون والميم الساكنتين تخرج من الخياشيم (الأنف) وهذا عند إظهارها، أمّا في حالة إخفاء النون عند أصوات الفم التي تخفى عندها، تصير نوناً خفية يقتصر خروجها عند مكي على الخياشيم فقط، وذلك لفقدانها مخرجها من الفم ، ولعلّ هذا جعل مكياً يعدها صوتاً مستقلاً يشترك مع النون المظهرة بالغنة لا غير .

والغنة من علامات القوة – كما أشار مكي – في الصوت فلا يمكن التنازل عنها – كما هو الحال في الأصوات القوية – في الإدغام فلا يمكن إدغام النون في مثيلتها والميم الساكنة والياء والواو، فإدغامها في هذه الأصوات مصحوب بظهور الغنة (مكي ، ١٩٨١ : ١/١٦٧) .

وقد سبق سيبويه مكياً باستعماله مصطلح الغنة وذكر أنّ مخرجها الخياشيم (سيبويه ، ١٩٩٩ : ٤/٥٧٣) .

الصوت الجرسي :

حدّده مكي في الرعاية قائلاً :" وهو الهمزة ، سمّيت بذلك لأنّ الصوت يعلو بها عند النطق بها، ولذلك استثقلت في الكلام ، فجاز فيها التحقيق والتخفيف والبدل والحذف وبين بين وإلقاء الحركة" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٣) .

وأشار مكي إلى أنّ الأصوات كلها مجروسة أي يصوت بها عند نطقها، غير أنّ للهمزة ميزة زائدة عليها بعلو صوتها حيث قال :" والجرس

على سائر الحروف ، نسبت إلى تلك الزيادة ، فقيل : سمّيت بالحرف الجرسي ، قال الخليل: " الجرسي : الصوت ويقال : جرستُ الكلام : تكلمت به أي صوّت به ، ويقال أجرس الحَـلـيُ : إذا صوّت" (مكي ، 1996 : 134) .

من خلال هذا الحديث نفهم أنّ علو صوت الهمزة على سائر الأصوات، وقوة خروجها كالتهوع أو كالسّعلة، جعل ذلك منها حرفاً صوتياً جرسياً، ولصعوبة إخراجها حال ذلك دون الجمع بين همزتين في كلمة .

قال محمد مكي نصر :" والجرس في اللغة : الصوت، فكأنه الحرف الصوتي ، أي المصوّت به عند النطق به، وكل الحروف يصوّت بها عند النطق بها، لكنّ الهمزة لها مزيّة في ذلك ...ولذلك قال الخليل في الهمزة: إنّها كالتهوع، وقال مرّة أخرى كالسّعلة (نصر ، د.ت : 53).

ويشير الدكتور عبد القادر مرعي إلى أنّ مكياً كان أول من استخدم مصطلح الحرف الجرسي (مرعي ، د.ت : 13) من علماء العربية القدماء .

الصوت المهتوف :

وهو عند مكي الهمزة ، سمّيت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع ، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهتف : الصوت الشديد يقال : هتف به ، إذا صوّت، وهو بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرسي ... والهتف: الصوت الشّديد، فسمّيت الهمزة بِذينك لشدّة الصّوت بها وقوته "(مكي ، 1996 : 137، 138) .

ويلاحظ على هذا الصوت لقوة التصويت بالهمزة وشدة خروجها علواً وارتفاعاً، فظهر هذا الصوت كأنّه مهتوف به .

وهو عند مكي الهمزة ، سمّيت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع ، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهتف : الصوت الشديد يقال : هتف به ، إذا صوّت، وهو بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرسي ... والهتف: الصوت الشّديد، فسمّيت الهمزة بذينك لشدّة الصّوت بها وقوته "(مكى ، ١٩٩٦ : ١٣٧، ١٣٨) .

ويلاحظ على هذا الصوت لقوة التصويت بالهمزة وشدة خروجها علواً وارتفاعاً، فظهر هذا الصوت كأنّه مهتوف به .

ووجدنا مكياً قد نسب إلى بعض العلماء أنّ المهتوف يساوي المهتوت – بتاءين – قال :" لأنّ الهمزة إذا وقفت عليها لانت ، وصارت إما (واواً)، وإما (ياءً)، وإما (ألفاً) "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٨) ، في هذا وجدنا مكياً قصد قول الخليل :" وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح " (الخليل ، د.ت : ٥٢/١) .

ووصف ابن جني الهاء بالمهتوت ، وقال عنها سمّيت بذلك :" لما فيها من الضعف والخفاء "(ابن جني ، ٢٠٠٠ : ٧٨/١)، أمّا سيبويه فقد أطلق مصطلح المهتوت على الهاء لما فيها من الضعف (سيبويه ، ١٩٩٩ : ٥٨٧/٤)، ويطلق مكي مصطلح الحرف الجلد على الهمزة لبعد مخرجها وصعوبة نطقها (مكي ، ١٩٨١ :١/ ٤٦).

ويرجح الدكتور عبد القادر" أنّ الهمزة هي الصوت المهتوت ، لأنّ الهتّ بين القوة والشدّة وعصر الصوت ، ولا يتحقق ذلك إلا في صوت الهمزة ، وما يحصل في الهاء والياء هو عكس ذلك مثل الضعف والخفاء "(مرعي ، ١٩٩٣ : ١٢٧) .

لاتصاله بمخرج النون، في حين يرى سيبويه أنّ اللام صوت شديد ، مخرجه من بين طرف اللسان وما فويق الثنايا (اللثة) ، غير أنّ صوته لم يخرج من هذا الموضع لظهور عقبة في مجراه حالت دون ذلك ، فانحرف عن هذا الموضع إلى حافتي طرف اللسان أو جانبيه ليخرج صوته من هذا الموضع ، فخالف بجريان الصوت مصطلح الأصوات الشديدة التي يتعرض الهواء معها إلى وقف في مجراه ، ثم انطلاق مفاجئ ينتج عن انفجار هذه الأصوات بقوة .

فوَصْفُ سيبويه لعله أكثرُ دقةً من وصف مكي للاّم ، فوصف مكي يناقض آلية الانحراف في اللام ، ووصفه له بالرخاوة يبدو أنه أطلقه من غير أن يلاحظ جريان الصوت مع اللام ، أو أنه لاحظ مع خروج اللام شدة لاتصال طرف اللسان باللثة .

أما الرّاء فقد وصفها بالانحراف " فهو حرف انحرف عن مخرج النون الذي هو أقرب المخارج إليه إلى مخرج اللام ، وهو أبعد من مخرج النون من مخرجه فسمي منحرفاً لذلك ، وقيل : إنما سميت " الراء " منحرفة لأنّها في الأصل من الحروف الشديدة ، لكنها انحرفت عن الشدة إلى الرخاوة حتى جرى معها الصوت ما لا يجري مع الشديدة لانحرافها إلى اللام ، وللتكرير الذي فيها، ولولا ذلك لم يجر معها الصوت عند النطق بها لأنّ الأغلب عليها الشدة، والحروف الشديدة لا يجري معها الصوت" (مكي ، ١٩٩٦ :١٣٢).

يلاحظ أنّ مكياً قد لاحظ وصف سيبويه للراء بالانحراف إذ قال سيبويه :" ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام "(سيبويه ،١٩٩٩ : ٤/٥٧٥ ،الزجاجي ، د.ت " من أول حافة اللسان

أدناها إلى منتهى طرفه مخرج اللام ... وأدخل من ذلك إلى ظهر اللسان منحرفا فأخرج الراء " : ٤١٠) .

ويقول جان كانتينو :" الانحراف وهو خاصية اللام لأنّ اللسان ينحرف عند النطق بهذا الحرف، ويجري الصوت من جانبي اللسان وذلك ما نعبر عنه نحن بعبارة لاتيرال أي جانبي " (كانتينو ، ١٩٦٦ : ٣٨) .

ويتفق علماء العربية المعاصرون مع علماء العربية القدماء في تحديد صفة الانحراف، إذ يقول عصام نور الدين معرفاً الانحراف :" ميل الصوت بعد خروجه إلى طرف اللسان " (نور الدين ، ١٩٩٢ :٢٣٥) .

الصوت المستطيل :

أطلق مكي هذا المصطلح على حرف " الضاد ، سميتّ بذلك لأنّها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام ، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء ، فقويت بذلك واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام لقرب مخرج اللام من مخرجها " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٤).

يفهم من كلامه أنّ هذه الصّفة للضاد يرجع سببها لاستطالة مخرج الضاد القديمة وامتداده من أول حافة اللسان (جانبه) إلى نهاية طرفه، حيث مخرج اللام الجانبية القريب منها، وهذه الاستطالة كانت سبباً لرخاوة الضاد القديمة، ويشير مكي إلى أنّ اتصال الضاد بمخرج اللام من خلال استطالته، يرجع إلى قوة هذا الصوت بالجهر والإطباق والاستعلاء .

وقد سبق سيبويه مكياً في استعمال هذا المصطلح ، فقد وصف الاستطالة في الضاد لرخاوتها عند نطقها القديم ، وقد عدّ اتصال مخرجها باللام من مظاهر هذه الاستطالة .

كما وصف الشين بالاستطالة لاتصالها بمخرج الطاء قائلا :" الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ، والشين كذلك استطالت حتى اتصلت بمخرج الطاء " (سيبويه ، ١٩٩٩ :٤/٥٩٩ ، ٦٠٩) .

فالضاد والشين تشتركان في امتداد صوتيهما واتصاله بمخرج غيرهما ولهذا وصفت الضاد بالتفشي مثل الشين ، لكونهما يدلان على مدى كبر واتساع مخرجيهما .

وقد وصف مكي الضاد بالتفشي حين قال :" والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام" (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٥)، وإلى هذا أشار المبرد بوصفها بالتفشي(المبرد ، ١٩٩٩ :١/٢٢٤) .

ويطلق جان كانتينو صفة الاستطالة على صوت الضاد " وهي صفة الضاد وربما كان السبب في هذه التسمية وجود تلك الزائدة الانحرافية في الضاد " (كانتينو ، ١٩٦٦ : ٣٨) .

ويشير الدكتور عبد القادر مرعي إلى اتفاق العلماء المحدثين مع القدماء في تحديد هذا المصطلح وصوته ، يقول مالمبرج عن الاستطالة :" ويقصد بها أن يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر، وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة التي تخرج مما بين جانب اللسان وبين ما يليه من الأضراس ، سواء من بين اللسان أو من شماله أو من الجانبين والأكثر من اليمين ، هذا المخرج القديم للضاد كان يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام الجانبية ، ولذلك وصفت بالاستطالة ونطقها بعض الأفارقة لاماً " (مرعي : ، ١٩٩٣ :١٢١ ، : مالمبرج ، ١٩٨٤ : ١٢٠)

الصوت المتفشي :

ذكر مكي أنّ التفشي يختص بالشين ، وسميت بذلك لأنها تفشّت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء ، وقد قيل :" إنّ في الثاء تفشياً "(مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٤) ،" والتفشي : هو الريح التي تخرج بشدة عند نطق الشين "(مكي ، ١٩٩٦ : ٢٢٧) .

وقد أضاف مكي في كتابه الكشف إلى الشين الفاء حين قال :" وحرفا التفشي الشين والفاء وهو في الشين أمكن " .

ومفهوم التفشي عند مكي هو انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٥) .

وعدم تحديد هذه المساحة بين عضوي المخرج اللسان والحنك ، يشير إلى مدى انتشار الشين في الفم وخارجه وأنّ امتداد مخرجه سوّغ له الاتصال بمخرج غيره، وفي موضع آخر وصف الشين بقوله :" وهي مهموسة رخوة فيها تفشٍ لانتشار الصوت بها عند النطق بها من وسط اللسان في تسفّل " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٧٥) .

ويوصي مكي القارئ بوجوب إعطاء الشين حقها من التفشي في التلاوة ، إذ يقول: " فيجب أن تبين التفشي الذي فيها عند النطق بها ، وهي ريح زائدة تنتشر في الفم عند النطق بها بخلاف غيرها " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٧٥) ، وكذلك عند حديثه عن الفاء قد وصفها بالتفشي ــ كما أشرنا ــ ويقول :" والتفشي هو الريح التي تخرج بشدة عند النطق بالشين والفاء ، وتخرج من مخرج كل حرف على رتبته " (مكي ، ١٩٩٦ : ٢٢٧) .

وقد نقل مكي أيضاً عن بعض العلماء بوصف الضاد بالحرف المتفشي لاستطالتها في مخرجها حتى تتصل بمخرج اللام (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٥) .

وقد سبق سيبويه مكياً في استعمال هذا المصطلح حين وصف " الشين والضاد والراء" (سيبويه ، ١٩٩٩ : ٤/٥٨٥) ، وتلاه المبرّد وأضاف إليهما الواو (المبرد ، ١٩٩٩ : ١/٢٢٤) .

نستخلص مما سبق أنّ مكياً وصف الشين بالتفشي، ثم أضاف الفاء والثاء، ونقل عن سيبويه والمبرد وصف الضاد " بالتفشي " .

ونذكر أنّ صفة التفشي من الصفات القوية التي لا يستغنى عنها بإدغام الشين بغيرها (مكي ، ١٩٨١ : ١/١٣٧) .

وأورد قومٌ أنّ حروف التفشي ثمانية :" الميم، والشين، والفاء، والراء، والثاء، والضاد، والسين، والضاد (الجزري ، ١٩٨٦ :١٠٧) .

ويتفق المحدثون مع القدماء في وصف هذا المصطلح، وأشاروا إلى أنّ وضع اللسان عند النطق بالشين يوجد منطقة واسعة لخروج الصوت " إنّ منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالسين" (أنيس ، ١٩٧٥ :٧٧) .

يقول مالمبرج :" التفشي هو أن يشغل اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر مما بين الغار واللثة ، وهو وصفٌ صادق على الشين " (مالمبرج ، ١٩٨٤ : ١٢٠) .

الصوت المتصل :

لقد خصّ مكي هذا المصطلح بصوت الواو، وذلك لأنها تهوي في مخرجها في الفم لما فيها من اللين حتى تتصل بمخرج الألف " (مكي ، ١٩٩٦ : ١٣٨) .

وقال في الواو أيضاً :" وينقطع آخرها في الخروج من مخرج الألف" (مكي ، ١٩٩٦ : ٢٣٥) ، ويمكن أن نصف الألف بأنه حرف متصل " لأنه

حروف الإبدال :

وعددها اثنا عشر حرفاً : الطاء ، والألف، واللام، والياء ، والواو، والميم، والهمزة، والنون، والجيم، والدال، والتاء، والهاء، يجمعها هجاء قولك :" طال يوم أنجدته "، وإنما سمّيت بحروف الإبدال لأنها تبدل من غيرها، نقول : هذا أمرٌ لازب ولازم، فتبدل أحدهما من الآخر الميم بدل من الباء ، ولا نقول الباء بدل الميم ، لأنّ الباء ليست من حروف الإبدال، إنما يبدل غيرها منها ، ولا تبدل هي من غيرها " (مكي ، 1996 : 122) .

ويفهم من كلامه أنّ الصوت المبدل منه أو البديل يجب أن يكون من هذه الاثني عشر ، غير أنه أجاز التبدلات الصوتية من غير هذه الأصوات عندما أقرّ أن البدل موقوف على السماع من العرب ينقل ولا يقاس عليه .

ولكن الدّراسات الحديثة لا تؤمن بهذا التقييد ، فالتبدلات الصوتية مطلقة غير مقيدة، كما أنها لا إرادية وإنما هي عملية ترتبط بالتاريخ مع مرور الزمن .

وقد قسّم علماء اللغة المحدثون الإبدال إلى نوعين :

الأول : الإبدال القياسي " ويطلق هذا على التبدلات الصوتية الناجمة عن التفاعلات الصوتية وتأثر بعضها ببعض والتي لا يترتب عليها تغيير في معنى الكلمة المصرفي أو وظيفتها النحوية" (مرعي ، 1993 : 171)

الثاني : الإبدال السماعي وهذا النوع " إما أن يكون إبدالاً لهجياً ، أي أنه شاع في قبيلة معينة ، وأصبح ينسب إليها أو أن يكون سُمِع وشاع دون أن ينسب إلى قبيلة بعينها " (مرعي ، 1993 : 172) .

الأصوات المشربة :

ويقال لها :" المخالطة – بكسر اللام وفتحها – وهي الحروف الستة التي ذكرنا أنّ العرب اتسعت فيها فزادتها على التسعة والعشرين ، الحروف المستعملة نحو : الصّاد بين الصاد ، والزاي ، وهمزة بين بين وشبه ذلك فهي مشربة بغيرها، وهي مخالطة في اللفظ لغيرها، وهي مخالطة لأنّ غيرها يخالطها في اللفظ " (مكي ، 1996 : 130) .

وقد استخدم سيبويه مصطلح المشربة قبل مكي ، غير أنّ مكياً استخدمه بدلالة مختلفة عن سيبويه (سيبويه ، 1999 : 573/4)، الذي جعله وصفاً للكيفية المصاحبة لنطق هذه الأصوات في حالة الوقف ، وذكر لنا أصوات القلقلة " قطب جد" لا يوقف عليها إلا وهي مشربة بصويت من الفم لضغط مواضعها ، ومنها أصوات مشربة إذا خرج معها عند الوقف عليها نحو النفخة وهي :" الزاي، والطاء ، والذال ، والضاد ، والراء " لأنّ هذه الأصوات إذا خرجت بصوت الصدر من بين الثنايا يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة ... أما المهموسة فكلها تقف مع نفخ لأنهن يخرجن مع النفس لاصوت الصدر.

يلاحظ من كلام سيبويه تمييزاً للأصوات المجهورة المصحوبة بصوت الصدر عن الأصوات المهموسة الخالية منه .

ولما كان من بين الأصوات المشربة (الفرعية) عند مكي صوت مدّ خالط لفظ الياء مرة ولفظ الواو مرة أخرى هو الألف الحركة الطويلة ، فإنّ هذا المصطلح يمكن أن يشمل الحركات الفرعية التي هي أبعاض حرف المدّ ، ومنها الفتحة الممالة نحو الكسرة، والفتحة المفخمة المقربة نحو الضمة ، يدل على ذلك قوله في تعريف الإمالة :" أن تميل الفتحة نحو الكسرة ، وتميل الألف نحو الياء " (مكي ، 1996 : 129) ، وفي موضع آخر

عرّفها بقوله :" تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة " (مكي ، 1981 :168/1) .

ومصطلح المخالطة الذي يرادف مصطلح المشربة قد ينصرف إلى معنى آخر وهو اتصال مخارج بعض الأصوات مع بعض ، ومنها الضاد والشين ، فقد وصف بعض العلماء الضاد بالتفشي – كما أشرنا سابقاً – قال مكي :" الشين تتفشى في الفم حتى تتصل بمخرج الظاء ، والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام ، قال : وسمي هذان الحرفان بمخالطين لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان " (مكي ، 1966 : 135) .

نستنتج من هذا أنّ الأصوات المشربة تعني تأثير صوت في صوت آخر ليدل على صوت فرعي تولد عن هذا التأثير فأشرب الآخر صفاته ، ويعني اتصال مخارج بعض الأصوات مع بعضها الآخر، ويطلق عليها مصطلح المخالطة .

الرقم	الصفة	الأصوات	تعريف الصفة	ملحوظات
1.	المهموسة	س،ت،ش،ح،ث،ك،خ،ص،ف هـ (هجاء قولك : ستشحثك خصفة أو سكت فحثه شخص)	حروف جرى معها النفس عند النطق بها لضعفها ، وضعف الاعتماد عليها عند خروجها	من علامات الضعف.
2.	المجهورة	ماعدا الأصوات المهموسة السابقة	حرف قوي يمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه .	من علامات القوة .
3.	الشديدة	أ ، ج ، د ، ك ، ق ، ط ، ب ، ت (هجاء قولك : أجدك قطبت)	حرف اشتد لزومه لموضعه وقوي حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به .	من علامات القوة .
4.	الرخوة	ث ، خ ، ذ ، ظ ، غ ، ش ، ز ، ح ، ف ، ص ، هـ ، ض ، س (هجاء قولك : ثخذ ظغش زحف صه به ضس).	حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به فجرى معه الصوت .	من علامات الضعف .

.5	الزوائد	(س ، أ، ل ، ت ، م ، و، ن ي ، هـ، ا) هجاء قولك(سألتمونيها)	لا يقع في كلام العرب حرف زائد في اسم أو فعل إلا من هذه العشرة
.6	المذبذبة	س ،أ ،ل ،ت ،م ،و ،ن ،ي ، هـ ، ا هجاء قولك :(سألتمونيها)	تقع مرة زائدة وأخرى أصولاً .
.7	الأصلية	ماعدا الأصوات الزوائد المذكورة	لا تقع أبداً في كلام العرب في الأسماء والأفعال إلا أصولاً
.8	الإبدال	(ط ، ا ، ل ، ي ، و ، م ، أ ، ن ، ج ، د ، ت ، هـ) ، هجاء قولك : (طال يوم أنجدته) .	لأنها تبدل من غيرها .
.9	الإطباق	ط ، ظ ، ص ، ض .	لأنّ طائفة من علامة اللسان تنطبق مع قوة الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف ، وتنحصر الريح بين اللسان

			والحنك الأعلى .	
10.	المنفتحة	ما عدا حروف الإطباق المذكورة .	لأنّ اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها ، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك وتخرج الريح عند النطق بها .	علامة ضعف
11.		ط ، ظ ، ص ، ض ، غ ، خ ، ق .	لأنّ الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعلياً بالريح ولا ينطبق مع الثلاثة الأخيرة .	علامة قوة
12.	المستفلة	ما عدا المستعلية المذكورة .	لأنّ اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك بل يستفل	

			اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها .	
.13	الصفير	ز ، س ، ص .	سمّيت لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير	من علامات القوة .
.14	القلقلة	ق ، ط ، ب ، ج ، د ، هجاء قولك :" قطب جد"	سمّيت لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن ، وهو أبيَن منه في الوصل بهنّ .	من علامات القوة
.15	المدّ واللين	(ا ، و) : ساكنة قبلها ضمة ي : ساكنة قبلها كسرة .	لأن مدّ الصوت لا يكون في شيء في الكلام إلا فيهن مع ملاصقتهن لساكن بعدهن أو همزة قبلهن أو بعدهن ، وسميت بحروف اللين لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات ،	

			ويَنْسَلِلْنَ بين الأصوات عند النطق بهن انسلالاً بغير تكلف .
16.	حرفا اللين	واو ساكنة قبلها فتحة ، يا ساكنة قبلها فتحة .	سميتا بذلك لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما ، فنقصتا المدّ الذي في الألف وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين
17.	الهوائية	حروف المدّ واللين السابقة .	سميت بالهوائية لأنهن نسبن إلى الهواء لأن كل واحدة منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم فعمدتها

			خروجها في هواء الفم .	
.18	الخفية	هـ ، و حروف المد واللين السابقة .	سميت بالخفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها	علامة ضعف
.19	العلة	ء ، ا ، و ، ي .	سميت بحروف العلة لأنّ التغيير والعلة والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها	
.20	التفخيم	ط ، ظ ، ص ، ض .	وهي حروف الإطباق المذكورة يتفخم اللفظ بها لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك .	علامة قوة
.21	الإمالة	ا ، ر ، هاء التأنيث .	لأن الإمالة في كلام العرب لا تكون إلا فيها، ومعنى الإمالة أن تميل الفتحة نحو الكسرة وتميل الألف	

			نحو الياء . لكن الألف وهاء التأنيث لا تتمكن الإمالة بهما إلا بإمالة الصوت الذي قبلهما نحو دراهم Darâhim → Darêhim	
22.	المشربة	الأصوات التي اتسعت بها العرب فزادتها على التسعة والعشرين .	هي مشربة بغيرها، وهي مخالطة في اللفظ لغيرها وهي مخالطة لأن غيرها يخالطها في اللفظ .	
23.	المكرر	ر	سميت بذلك لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به ، كأن طرف اللسان يرتعد به .	علامة قوة
24.	الغنة	ن ، م	لأنّ فيها غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بها .	علامة قوة

الرقم	الصفة	الأصوات	تعريف الصفة	ملاحظات
25.	الانحراف	ل ، ر	لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما ، وعن صفتهما إلى صفة غيرهما .	
26.	الجرسي	ء	لأنّ الصوت يعلو بها عند النطق بها .	
27.	المستطيل	ض	لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام .	علامة قوة
28.	المتفشي	ش ، ث	لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الطاء .	علامة قوة
29.	المذلقة	ف ، ر ، م ، ن ، ل ، ب ، هجاء قولك :(فر من لب)	حروف عملها وخروجها من طرف اللسان وما يليه من الشفتين ..	

30.	المصمتة	ما عدا المذلقة المذكورة .	حروف أصمتت أي منعت أن تختص ببناء كلمة من لغة العرب، إذا كثرت حروفها لاعتياصها على اللسان ، فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة كثيرة الأصوات ... حتى يكون معها غيرها من المذلقة .
31.	الصم	ما عدا حروف الحلق : ء ، ع ، أ ، هـ ، ح ، غ ، خ	سميت لتمكنها في خروجها من الفم واستحكامها فيه .
32.	المهتوف	ء	سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع ، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد .
33.	الراجع	الميم الساكنة	سميت لأنها ترجع في مخرجها إلى الخياشيم لما فيها من الغنة .

الفصل الثاني

الأداء الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي

الإدغام :

الإدغام لغةً : هو إدخال شيء في شيء ، ويقال :" أدغمت الفرس اللجام ، أي أدخلته في فيه " (مختار الصحاح ، د.ت : 206)، يعرف مكي الإدغام :" إدخال شيء في شيء ، فمعنى : أدغمت الحرف في الحرف : أدخلته فيه ، فجعلت لفظه كلفظة الثاني ، فصارا مثلين والأول ساكن فلم يكن بدّ من أن يلفظ بهما لفظة واحدة ، كما يصنع بكل مثلين اجتمعا والأول ساكن " (مكي ، 1981 : 143/1) .

ويعرفه ابن جني :" تقريب صوت من صوت " (ابن جني ، 2001 :1/ 495) ، ويذكره في المنصف قائلاً وهو :" أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله أو مقارب له من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف ، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة وذلك في قولك : عدّ و فرّ و غضّ " (ابن جني، 2 :240) .

أما المبرد فيعرف مصطلح الإدغام : " فإنّما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة لأن المخرج واحد ولا فصل " (المبرد ، 1999 :1/227) .

من خلال حديث مكي عن تعريف مصطلح الإدغام ندرك أنه ظاهرة صوتية تقوم عنده في حال وجود صوت ساكن وصوت متحرك ، حيث يكون أولهما ساكناً وهو الصوت المدغم وثانيهما المدغم فيه صوتاً متحركاً فصارا مثلين ، وأشار إلى أن الإدغام هنا يكون واجباً عندما قال :" كما يصنع بكل مثلين اجتمعا والأول ساكن " .

أقسام الإدغام :

يقسم الإدغام إلى قسمين رئيسين :-

الأول : الإدغام الصغير :

وهو الذي يكون في المثلين ولا يحصل إلا بعد سكون الأول من المتماثلين والثاني متحركاً – ولم يذكره مكي بهذا العنوان – وذلك نحو :

شَـــــــدّ   Šad /da   شَــــدْدَ

وحكمه أنه واجب ، و قد يكون في كلمتين منفصلتين ويسمى حينئذ منفصلاً نحو :

id / rib / bak / ran   اضرب بكراً

ويكون هنا في حكم الوجوب ، " وسبب وجوبه الدائم هو أنّ الإنسان ينساق إليه انسياقاً لا خيار له فيه ، فهو آلية نطقية حتمية "(الأنطاكي ، د.ت : 124/1)

وقد وضع سيبويه لإدغام المثلين عللاً وأصولاً ترجع في النهاية إلى ما أطلق عليه ظاهرة " كراهية التقاء الأضداد والأمثال التي تسيطر على الذوق العربي في الصوغ السياقي"(حسان ، د.ت : 280) .

الثاني : الإدغام الكبير

وينسب إلى أبي عمرو بن العلاء وهو :" الإدغام الواقع بين متماثلين تفصل بينهما الحركة مثل مَدَدَ ← مدَّ ، وطبيعي أن هذا لم يتم إلا بعد حذف حركة الحرف الأول من المتماثلين ، إذ يتعذر الإدغام مع وجود الحركة العازلة "(الأنطاكي ، د.ت : 124/1) .

وكثيراً ما يقع هذا الإدغام بين متماثلين حيث يكون الأول من آخر كلمة والثاني من أول كلمة أخرى ، وذلك ما قاله مكي عن إدغام أبي

عمرو بن العلاء وذلك نحو : " قال لهم (البقرة :247) * و لذهب بسمعهم (البقرة : 200) " ولذلك أدغم أبو عمرو هذا النوع (مكي ، 1981 : 134/1).

ولكن مكياً كان يخالف أبا العلاء ، وكان يقرأ بالإظهار وإلى هذا كان ينبه قارئ القرآن حيث يقول :" وإذا تكررت الكاف وجب أن تتحفظ بإظهار الكافين ... نحو: " نسبحك كثيرا (طه : 33) * ونذكرك كثيراً(طه : 34) ... إنك كنت من الخاطئين (يوسف : 29) " (مكي ، 1996 : 173 ،174)

وفي تكرار الباء قال :" وإذا تكررت الباء متحركة وجب التحفظ بإظهارها ، خوفاً أن يقرب اللفظ من الإدغام الذي هو جائز في ذلك لصعوبة اللفظ بتكرير الحرف ، نحو قوله تعالى: " لذهب بسمعهم " (البقرة: 200) * " والعذاب بالمغفرة "(البقرة : 175) * " والصاحب بالجنب " (النساء : 136) * " ... والكتاب بالحق " (البقرة : 176) * و" الألقاب بئس الاسم " (الحجرات : 11) ، وشبهه كثير ، ولذلك أدغم هذا الضرب كله أبو عمرو فيما روي عنه من الإدغام الكبير " (مكي ، 1996 : 230) .

من خلال هذا الحديث عن هذين القسمين نرى أن الاختلاف بينهما وجود الحركة أو عدمها ، فإن وجدت الحركة كان الإدغام كبيراً ، وإن لم توجد أصبح الإدغام صغيراً ، وقد تحذف الحركة من الإدغام الكبير فيصبح صغيراً ، ولكن هذا الحذف قد يخلق مشكلة نحوية لأن حركة الصوت الأخير من الكلمة هو للإعراب ، حيث يسمى الحرف الأخير حرف الإعراب .

ويحدثنا ابن يعيش عن هذين الضربين من الإدغام قائلا :" وإذا أدغمت المثلين المتحركين عملت شيئين : أسكنت الأول وأدغمته في الثاني، مثل : جعل لك ، وجعل لهم ، فإن كان الأول ساكناً قبل الإدغام ، عملت شيئاً واحداً وهو الإدغام مثل : قلْ لهم ، واجعلْ له ، وإذا أدغمت

المتحركين المتقاربين عملت ثلاثة أشياء ، أسكنت الأول منهما وقلبت الحرف الأول إلى لفظ الثاني ، وأدغمت نحو : بيت طائفة ، وإن كان أحد المتقاربين ساكناً في أصله مثل لام المعرفة فليس إلا عملان : قلب الأول وإدغامه مثل الرجل والذاهب " (ابن يعيش ، 2001 : 526/5) .

أصول الإدغام عند مكي :

لقد وضع مكي أصولاً للإدغام يعرف بها الإدغام الحسن من الإدغام القبيح ، بالنسبة للأصوات المتقاربة المخرج أو الصفات ، ويحدث بينهما إدغام وهذه الأصول لا نقيسها على المتماثلين ، وقد ذكرنا أنه إذا سكن أحدهما أدغم في الثاني وجوباً ، ولهذا لا نقيس هذه الأصول عليه ، وهذا الإدغام الواجب متفق عليه .

الأول : الاشتراك أو التقارب في المخرج :-

لقد لاحظنا في الفصل الأول من هذه الرسالة أن مكياً قد قسّم المخارج إلى ثلاثة مخارج رئيسية ، الأول للحلق وله ستة حروف، والثاني للفم وله ثمانية عشر صوتاً ، والثالث للشفتين وله أربعة أصوات ، وذكر في كتاب الكشف عن وجوه القراءات القاعدة التي يقوم عليها الإدغام بين هذه المخارج قائلاً :" فيجب أن تعلم أن حروف الحلق لا يدغمن في حروف الفم ، ولا في حروف الشفتين ، وقد يدغم بعض حروف الحلق في بعض لتقارب المخرج ، وتعلم أن حروف الفم لا تدغم في حروف الحلق ، ولا في حروف الشفتين ، ولكن يدغم بعضها في بعض ، وفيها يقع أكثر الإدغام خلا الياء ، فلا تدغم في غيرها ولا يدغم غيرها فيها ، وتعلم أن حروف الشفتين لا تدغم في حروف الحلق ، ولا في حروف الفم لبعد ما بينهن من المخرج ، ويدغم بعضها في بعض خلا الواو ، فلا تدغم في

غيرها ، ولا غيرها فيها ، خلا أن النون الساكنة والتنوين يدغمان في الياء والواو ، وكذلك الميم لا تدغم في الياء " (مكي ، 1981 : 140/1) .

من خلال كلام مكي نخلص إلى استنتاجات مفادها :

أ- أنّ أصوات الحلق لا تدغم في أصوات الفم .

ب- أنّ أصوات الحلق لا تدغم في أصوات الشفتين .

ج- أنّ أصوات الفم لا تدغم في أصوات الشفتين ولا في أصوات الحلق .

د- أنّ أصوات المخرج الواحد كأصوات الحلق قد تدغم في بعضها وذلك نحو إدغام الهاء في العين ، نحو :

معهم ← محهم ← محّم

macahum —— maḥḥum —— maḥahum

فيحدث إبدال العين حاء ، وتدغم الهاء في الحاء التي آختها في المخرج

وقد ذكر مكي أن العين إذا سكنت وجاء بعدها هاء ً وجب التحفظ في إظهارها إذ يقول :" وإذا سكنت العين وأتت بعدها هاء ً وجب التحفظ بإظهار العين لئلا تقرب من لفظ الحاء ، وتدغم فيها الهاء فتصير كأنها حرف حاء مشددة ، كما قالوا في : " مَعَهُم : مَحّهُم فأبدلوا من العين حاء ، وأدغموا الهاء فيها على إدغام الثاني في الأول، لأنّ الحاء مؤاخية للهاء في الهمس ومخرجاهما متقاربان " (مكي ، 199: 163) .

هـ- أن الإدغام أصله في أصوات الفم كما قال سيبويه ، وإيعاز ذلك لكثرة الأصوات التي تخرج من الفم (سيبويه ، 1999 : 573/4) " وإدغام حروف الفم في بعضها البعض يقوي ويحسن " (مكي ، 1981 : 141/1)

و- استثنى مكي عدم إدغام الواو من أصوات الشفتين مع غيرها من الأصوات وكذلك عدم إدغام غيرها فيها .

ز- النون الساكنة والتنوين يدغمان في الياء والواو .

ح- عدم إدغام الياء في الميم .

وقد ذكر المحدثون أن إدغام المتقاربين له ثلاث حالات (في هذه الحالات انظر الأنطاكي ، د.ت : 1/129 - 130) :-

الأولى : حالة الوجوب ، وتكون في إدغام لام التعريف في الأصوات الشمسية نحو :

/assafinah السفينة

فأدغمت اللام في السين ، وكذلك كإدغام تاء الافتعال في الطاء وذلك نحو: " اطّلب " التي أصلها اتطلب ، فتحولت التاء إلى طاء وأسكنت وأدغمت في الثانية : itṭalaba → ittalaba

الثانية : حالة المنع أو الامتناع ، وذلك نحو إدغام المتقاربين اللذين يوقعان في الالتباس نحو: إدغام " وطد " ، و" وتَدَ " ، فلو أدغمت الطاء والتاء في الدال لانتهت الكلمتان إلى " ودّ " وهي تعني غير ما تعنيه الكلمتان السابقتان ، وكذا إذا أدى الإدغام إلى ثقل فلا يقال:"اسمع قّارئاً في اسمع قارئاً " (الأنطاكي ، د.ت :1/130) .

الثالثة : حالة الجواز " ويدخل فيها كل ما خرج عن حالتي الوجوب والامتناع " (الأنطاكي ، د.ت : 1/130) ، نحو :

فمن زحزح عن النار ← فمن زحزعّن النار ، بلْ ران ← برّان

الثاني من أصول الإدغام : قوة الصوت أو ضعفه :-

وهنا نعود إلى الصفات الموجودة في الصوت الواحد وما نوعها من حيث القوة والضعف ، فقد ذكر مكي لنا الصفات القوية والصفات الضعيفة في الصوت الواحد ، وقد تحدثنا عنها في باب صفات الأصوات ، و ذكر مكي في كتابه الكشف عن وجوه القراءات باباً في معرفة الأصوات القوية والضعيفة إذ يقول :" اعلم أن الضعيف في الحرف يكون بالهمس والرخاوة ... واعلم أن القوة في الحرف تكون في الجهر، والشدة، والإطباق، والتفخيم، والتكرير، والاستعلاء، والصفير، والاستطالة، والغنة، والتفشي " (مكي ، 1981 : 138/1) .

وقد ذكر أن الصوت قد تتعدد فيه صفات قوية ، " كالصاد التي هي مجهورة شديدة مطبقة مستعلية "(مكي ، 1981 : 1/ 139) ، وقوة الصوت تجلب الصوت الضعيف إليه ويقلبه إلى جنسه ثم تحدث عملية الإدغام ، نحو قوله تعالى :" بل رّان " (المطففين : 14) ، لأنك تبدل من اللام حرفاً أقوى منه بكثير فذلك ما يقوي جواز الإدغام " (مكي ، 1981 : 158/1) .

إدغام لام التعريف :

وهي لام ساكنة تفيد تعريف الاسم المتصلة به ، ويقول فيها مكي :" واعلم أن لام التعريف تدغم في أربعة عشر حرفاً بلا اختلاف في ذلك وهنّ : " التاء، والثاء، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، واللام، والنون " (مكي ، 1981 : 141/1)

ويعلل مكي لإدغام هذه الأصوات مع اللام قائلاً :" وعلّة إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم ، فلما سكنت ولزمها السكون أشبهت اجتماع المثلين والأول ساكن، وكثرة

الاستعمال لها ، مع أن أكثر هذه الحروف أقوى من اللام ، وليس منها ما ينقص عن قوة اللام إلا التاء ، فكان في إدغامها فيهن قوة لها فأدغمت فيها لذلك ، ولا تدغم في باقي حروف الفم لتباعدها عن مخرج الفم منهن أو في الصفة أو في القوة " (مكي ، 1981 : 141/1) .

من خلال حديث مكي نستخلص أن سبب إدغام لام المعرفة مع هذه الأصوات هو التقارب المخرجي الذي عدّه أصلاً من أصول الإدغام ، فلو نظرنا إلى هذه الأصوات نجد أن أكثرها أسنانية، أو أسنانية لثوية، أو لثوية واللام حرف لثوي ، فقارب هذه الأصوات في المخرج وهي ساكنة فحدث الإدغام ، وبعضها قاربته من حيث الصفة كالسين التي وصفت بالتفشي ، ونعلم أن اللام التي تدغم تسمى اللام الشمسية ، أما التي تظهر فهي اللام القمرية .

وقد عزا مكي إدغام لام المعرفة لسبب آخر، وهو ضعفها فاللام الساكنة ضعيفة بالمقارنة مع الصوت الذي أدغمت فيه .

وإلى هذا أشار أحمد مختار عمر : " أما مع (أل) التعريف فمن الملاحظ أن لامها تتحول إلى صوت مماثل لما بعدها حين يتقارب المخرجان ، وتحتفظ بشخصيتها حين يتباعد المخرجان ، فاللام تقع في المخرج الخامس من الأمام وهو اللثة ، ولهذا فهي تدغم في الأصوات الساكنة القريبة منها أو المماثلة لها " (مختار ، 1976 : 334).

الإمالــة :

يعرف مكي الإمالة :" أن تميل الفتحة نحو الكسرة وتميل الألف نحو الياء " (مكي ، 1996 : 129 ، مكي ، 1981 : 168/1) ، ويذكر مكي حروف الإمالة في باب صفات الأصوات وألقابها وعللها ويذكر حروف

الإمالة ثلاثة : " الألف والراء وتاء التأنيث وإنما سميت حروف الإمالة لأن الإمالة في كلام العرب لا تكون إلا فيها " (مكي ، 1996 : 129)، وكان اهتمام مكي في الكشف منصباً على الألف التي لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ، ويتبع إمالة الألف إمالة الفتحة التي قبلها إلى الكسرة ، وكذلك الأمر متى أملت الفتحة التي قبل الألف تمال الألف إلى الياء " واعلم أن معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء والفتحة التي قبلها نحو الكسرة " (مكي ، 1981 : 168/1) ، " وأصحاب الإمالة تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد، وأصحاب الفتح الحجازيون إلا في مواضع قليلة، ومحل الإمالة غالباً الأسماء المتمكنة والأفعال " (الأندلسي ، 1988 : 518/2، " أشد العرب حرصاً على الإمالة هم بنو تميم" الأنطاكي ، د.ت : 94/1) .

ويشير مكي إلى أنواع الألفات وما يكون أصلها قائلاً :" واعلم أن الألف الممالة تكون بدلاً من ياء فتميلها لتدل الإمالة على أصلها ، وتكون ألفاً زائدة تمال لشبهها بالأصلية ، ولأنها لا أصل لها في الواو نحو : معزى ، قصارى ، وقد يكون أصلها الواو ، ولكنها أميلت لرجوعها إلى الياء نحو : أزكى ، ولكسرة مقدرة نحو : خاف ، التي توجب الإمالة " (مكي ، 1981 : 168/1، 169) .

والقصد من الإمالة هو التناسب وتقريب الأصوات من بعضها ، وذلك بهدف الانسجام والمماثلة ، فالقصد هو " التلاؤم بين الحروف " (التكملة : 223 ، ابن يعيش ، 2001 : 54/6) .

ويذكر سيبويه هذا القصد قائلاً : " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ... إنما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها ... منها التماس الخفة " (سيبويه ، 1999 : 235/4) ، وكذا يراه المحدثون

" والإمالة في الأصل نوعٌ من الانسجام الصوتي بين الحركات " (الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 201) .

أسباب الإمالة :

تحدث مكي عن أسباب الإمالة، وأفرد لها باباً في كتاب الكشف عن وجوه القراءات، وأسماه باب أقسام العلل (مكي ، 1981 : 170/1)، وذكر أسبابها قائلاً :" اعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث : وهي الكسرة، وما أميل ليدل على أصله، والإمالة للإمالة " (سيبويه ، 1999 : 235/4).

الأول : ما أميل لكسرة

ذهب كثير من العلماء القدماء إلى أن الكسرة في باب الإمالة أقوى من الياء ، فقد بدأ سيبويه بالكسرة باب الإمالة (ابن السراج ، 1987 : 160/3)، غير أن البعض الآخر بدأ بالياء ، يجعلها أقوى من الكسرة في هذا الباب كابن السراج (الأندلسي ، 1988 : 518/2) ، ويذكر أبو حيان متحدثاً عن الكسرة أن الكثيرين قد ذهبوا " إلى أنها في باب الإمالة أقوى من الياء ، وهو ظاهر كلام سيبويه ، وذهب ابن السراج إلى أن الياء أقوى من الكسرة " (مكي ، 1981 : 170/1) .

وتضم ما يلي :

1- الألف التي تمال وتقع بعدها راء مكسورة " والكسرة إعراب نحو : النارِ والنهارِ ، وشبهه ، فما بعد الألف راء مكسورة ، أماله أبو عمرو وأبو عمرو الدوري .... وقرأه ورش بين اللفظين وفتحه الباقون " (مكي . 1981 : 170/1، 171) ، ويذكر مكي هنا علة الإمالة قائلاً " وعلة من أماله أنه لما وقعت الكسرة بعد الألف قرّب الألف

نحو الياء ، لتقرب من لفظ الكسر لأن الياء كسر ، ولم يمكن ذلك حتى قربت الفتحة التي قبل الألف نحو الكسر ، فحسن ذلك ليعمل اللسان عملاً واحداً مستفلاً ، فذلك أخفّ من أن يعمل متصعداً بالفتحة والألف ثم يهبط متسفلاً بكسرة الراء " (مكي :الكشف : 171/1)
من خلال حديث مكي نرى أنّ الهدف من الإمالة هو تحقيق الانسجام الذي يسعى إليه القارئ ، ويشير مكي لقوة الكسرة على الراء قائلاً : " لأن الكسرة عليها قوية كأنها كسرتان ، فقويت الإمالة لذلك مع الراء لأنها حرف تكرير الحركة عليها مقام حركتين "(مكي ، 1981 : 1 /171) وقراءة ورش وهي القراءة بين اللفظين عللها مكي قائلاً :" وعلة من قرأه بين اللفظين أنه توسط الأمر ، فلم يُمِل لئلا يخرج الحرف عن أصله ، ولم يفتح لقوة الكسرة في الراء فقرأ ذلك بين اللفظين (مكي ، 1981 : 171/1) ، أي بين الفتح والإمالة " ، أما علة من فتح يقول مكي :" أنه أتى به على الأصل ولم يستثقل التسفل بعد التصعد ، وإنما الذي يثقل في اللفظ هو مثل التصعد بعد التسفل نحو : إمالة ، زاع " (مكي ، 1981 : 171/1)

2- وما أميل وليست الكسرة فيه إعراباً بل هي حركة بناء ، ومنه ما تفرّد فيه بالإمالة أبو عمرو والدوري عن الكسائي قوله تعالى :" من أنصاري " (آل عمران : 52 ، الصف : 14) ، و" جبارين " (المائدة : 22 ، الشعراء : 130) ، ومما لا راء فيه : " آذانهم " (البقرة : 19) ، و" آذاننا " (فصلت : 5) ، و" طغيانهم " (البقرة : 15) ، ومما فيه راء أيضاً : " سارعوا " (آل عمران : 133) ، و" نسارع" (المؤمنون : 56) ، و" يسارعون " (آل عمران : 116) ، و" بارئكم "(البقرة : 54) ، و" البارئ"(الحشر : 24) ، و" الجوار"(الشورى : 32 ، الرحمن : 24 ، التكوير : 16) .

وعلل هذا مكي قائلاً :" لوقوع الكسرة بعد الراء بعد الألف الزائدة ، وأجرى كسرة البناء مجرى كسرة الإعراب ، والإمالة مع كسرة البناء أقوى لأنها كسرة لازمة لا تتغير ، وكسرة الإعراب لا تلزم إلا في حالة الخفض وهي أضعف ، وأمال " آذانهم ، وآذاننا ، وطغيانهم " للكسرة أيضاً، فهو في هذا كله يميل الألف نحو الياء للكسرة التي بعدها ، ويميل الفتحة التي قبلها نحو الكسرة ليعمل اللسان عملاً واحداً على نحو ما ذكرنا أولاً " (مكي ، 1981 : 171/1) .

3- ويذكر ضمن الكسرة ما تفرّد به ابن هشام من إمالته الخمسة مواضع، وذلك " مشارب(يس : 73) وآنيه (يس : 73) وعابد (الغاشية : 5) وعابدون (الكافرون : 3-5) ، في قل يا أيها الكافرون ، خاصة في ثلاثة مواضع فيها " (مكي ، 1981 : 172/1) ، وفي هذا تمال الألف إذا وقع بعدها كسرة مباشرة من غير فصل بينها ، والذي يقوي الإمالة هنا أن الكسرة بعد الألف مباشرة ، والكسرة هنا كسرة بناء لا تتغير " فكلما كانت الكسرة أقرب للألف كانت الإمالة أولى فكتابٌ أولى من جلباب "(التوحيدي ، 1988: 520/2)

4- ويمال لأجل الكسرة ما تفرّد به ابن ذكوان من إمالة " المحراب " (آل عمران : 39 ، مريم : 11) ،" إذا كان مخفوضاً" (مكي ، 1981 : 172/1)

5- " ومن ذلك ما تكررت فيه الراء نحو :" الأشرار والأبرار ، إذا كان مخفوضاً (مكي ، 1981 : 172/1) وغير ذلك ما أميل لأجل الكسرة .

الثاني : ما أميل لتدل إمالته على أصله

يقول مكي :" على هذه العلة تجري أكثر الإمالات ، وذلك أن تكون الألف أصلها الياء ، أو تكون زائدة رابعة وأكثر ، فيكون حكمها حكم ما

أصله الياء ، أو تكون الألف للتأنيث فتجب الإمالة لتدل على أصل الألف في حكم ما أصله الياء ، وذلك باب واسع " (مكي . 1981 : 177/1) .

ذكر مكي إمالة حمزة والكسائي مما أصله ياء في الأفعال لقوله :" أتى، وتعالى ، ورمى، وسعى ، ووصى ، وتولى ، وتوفى ، واصطفى ، واستوى ، واستسقى ، واستعلى ، ونادى ، وطغى وتتوفاهم " (على التوالي : النحل : 1 ، الأنعام ، 100 ، الأنفال : 17 ، البقرة : 117 ،132، 205 ، 281 ، 32 ، 29 ، 60 ، طه ، 64 الأعراف : 44 ، طه : 24 ، النحل : 128،) .

ويذكر مكي أن الإمالة تكون في الأسماء نحو : " الهدى ، والهوى ، والقرى ، والقربى ، وفتى ، ومحيي ، ويحيى ، وموسى، ومجرى ، ومنتهى " (على التوالي : البقرة : 196 ، النساء : 135 ، الأنعام : 92 ، البقرة 83 ، الأنبياء : 60 ، الروم : 50 ، آل عمران : 39 ، البقرة : 51) ، وشبهه (مكي ، 1981 : 1 /177) ، ويذكر أنه يأتي في هذا ما أصل ألفه الثاني الواو ، ثم ترجع إلى الياء في الرباعي نحو :" تزكى ، وزكى، ويرضى (على التوالي : طه : 76 ، النور : 21 ، النساء : 108) وشبهه " (مكي ، 1981 : 177/1) .

وذكر أنّ " كل ما وقع من هذا رأس آية ولا راء فيه ، فأبو عمرو وورش يقرآنه بين اللفظين ، فإن كان بعد الألف هاء وألف ، قرأه أبو عمرو وحده بين اللفظين ، وإن كان في شيء من ذلك راء فأبو عمرو يميله كحمزة والكسائي ، وورش يقرؤه بين اللفظين على التوسط لا ممال ولا مفتوح ، فهذا وشبهه كله أمالاه ليدلا بالإمالة على أن أصل الألف الياء، فينحوان بالألف نحو أصلها وهو الياء ، ولا يمكن ذلك حتى ينحوا بالفتحة التي قبلها نحو الكسرة "(مكي ، 1981 : 178/1) .

وتمال الألف الزائدة التي تجري حكم الأصيلة نحو : " كسالى ، ويتامى ، وحوايا " ،(النساء : 142) ، وشبهه ، أماله أيضاً حمزة والكسائي

فإن كان فيه راء قبل الألف والألف أصلية أو زائدة ... وورش بين اللفظين وذلك نحو : يرى ، ونرى ، وافترى ...وسكارى ، ونصارى (البقرة : 165 ، 55 ، آل عمران : 94) " (مكي ، 1981 : 178/1).

والعلة هنا عند مكي لتقرب الألف من أصلها أو حكمها " ولا بد من أن ينحى بالفتحة التي قبل الألف نحو الكسرة فبذلك تتمكن إمالة الألف إلى نحو الياء في هذا وغيره "(مكي ، 1981 : 179/1) .

نخلص من حديث مكي أن إمالة الألف إن كان أصلها ياءً فإمالتها حسنة ، وإن كانت من الأصل الواوي فإنها تمال إن كانت رابعة وفي هذا يقول :" فإن رجعت الألف إلى الياء فهو مما أصل ألفه الياء فأمله، وإن رجعت ألفه إلى الواو فهو مما أصل ألفه الواو فلا تمله " (مكي ، 1981 : 1/ 178) .

ذكر سيبويه " أن أهل الحجاز وكثيراً من العرب لا يميلون للياء ، وأن أهل الحجاز يميلون للكسرة " (الأندلسي ، 1988 : 528/2 ، سيبويه ، 1999 : 4/ 235 -236) .

الثالث : الإمالة للإمالة

وذلك نحو " رأى ، ورآه ، ورآك " (الأنعام : 76 ،الأنبياء : 36 ، النحل : 40) ، أميلت الألف التي بعد الهمزة لتقرب من أصلها وهو الياء، وأميلت فتحة الهمزة ليوصل بذلك إلى إمالة الألف ، وأميلت الراء لإتيان حرفين ممالين بعدها(مكي ، 1981 : 191/1).

والحقيقة أنّ الإمالة ليست الراء ، وإنما حركتها وهي الفتحة ، وتسمى الإمالة للإمالة بعض الأحيان (مجاورة الممال) ، وقد عدّه ابن الباذش في أسباب الإمالة ، قال سيبويه : رأيت عماداً، فأمالوا للإمالة كما أمالوا

لكسرة قال : وقالوا : معزانا في قول من قال : عماداً ، فأمالهما جميعاً (الأندلسي ، 1988 : 535/2) .

ما يضعف الإمالة :-

1- حرف الراء ويمنع الإمالة بثلاثة شروط (الأنطاكي ، د.ت : 100/1) :

أ- أن يكون مفتوحاً أو مضموماً نحو راشِد .

ب- أن يكون متصلاً بالألف سواء أكان قبلها أم بعدها ، نحو هذا جدار

ج- أن لا يكون ساكناً بعد كسرة .

2- حروف الاستعلاء وهي الصاد، والطاء، والضاد، والظاء، والغين، والخاء، والقاف ، تكون هذه الأصوات مانعة للإمالة إذا كانت مفتوحة أو مضمومة نحو صابِر ، أو إذا كانت بعد الألف بحرف واحد نحو هابط ، أو إذا وقعت هذه الأصوات المستعلية بعد الألف بحرفين مثل مناشط (سيبويه ، 1999 : 244/4) ، وذكر صاحب المحتسب قائلاً :" أنّ حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة في الفعل إنما تمنعها في الاسم نحو : طالب وظالم ، أما في الفعل فلا ، ألا تراهم كيف أمالوا طغى وقضى ، وهناك حرفان مستعليان مفتوحان وسبب ذلك إيغال الأفعال في الاعتلال وأنها أقعد فيه من الأسماء" (ابن جني ، د.ت : 206/1) .

3- ومما يضعف الإمالة بُعد الكسرة عن الألف مثل : مِفتاح ، فالفاصل بينهما حرفان(الأنطاكي ، د.ت : 100/1).

4- الانفصال يضعف الإمالة ، ومعناه أن تكون الكسرة والألف في كلمتين منفصلتين نحو :

لكسرة قال : وقالوا : معزانا في قول من قال : عماداً ، فأمالهما جميعا (الأندلسي ، 1988 : 535/2) .

ما يضعف الإمالة :-

1- حرف الراء ويمنع الإمالة بثلاثة شروط (الأنطاكي ، د.ت : 100/1) :

أ- أن يكون مفتوحاً أو مضموماً نحو راشِد .

ب- أن يكون متصلاً بالألف سواء أكان قبلها أم بعدها ، نحو هذا جدار

ج- أن لا يكون ساكناً بعد كسرة .

2- حروف الاستعلاء وهي الصاد، والطاء، والضاد، والظاء، والغين، والخاء، والقاف ، تكون هذه الأصوات مانعة للإمالة إذا كانت مفتوحة أو مضمومة نحو صابِر ، أو إذا كانت بعد الألف بحرف واحد نحو هابط ، أو إذا وقعت هذه الأصوات المستعلية بعد الألف بحرفين مثل مناشط (سيبويه ، 1999 : 244/4) ، وذكر صاحب المحتسب قائلاً :" أنّ حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة في الفعل إنما تمنعها في الاسم نحو : طالب وظالم ، أما في الفعل فلا ، ألا تراهم كيف أمالوا طغى وقضى ، وهناك حرفان مستعليان مفتوحان وسبب ذلك إيغال الأفعال في الاعتلال وأنها أقعد فيه من الأسماء" (ابن جني ، د.ت : 206/1) .

3- ومما يضعف الإمالة بُعد الكسرة عن الألف مثل : مِفتاح ، فالفاصل بينهما حرفان(الأنطاكي ، د.ت : 100/1).

4- الانفصال يضعف الإمالة ، ومعناه أن تكون الكسرة والألف في كلمتين منفصلتين نحو :

" لِزيد مال " (الأنطاكي ، د.ت : 100/1 ، وكذلك الوصل يضعف الإمالة ، وزوال الكسرة وعروض الكسرة ، وكون الألف المراد إمالتها ألف منقلبة عن تنوين ، للزيادة انظر المرجع نفسه) .

ونرى أنّ المحدثين من علماء اللغة قد ساروا على نهج سابقيهم من علماء العربية في تعريف الإمالة ، فقد ذكر الدكتور عبد القادر مرعي ناقلاً عن الدكتور أحمد علم الجندي تعريف الإمالة :" هي تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة " (مرعي ، 1993 : 158) .

وأخذ الدكتور عبد القادر على القدماء عدم التمييز بين الحركات الطويلة والقصيرة ، وهذا ما جعلهم يرددون الألف والياء والكسرة والفتحة في تعريفهم للإمالة " (مرعي ، 1993 : 157) .

والذي نراه أن الإمالة هو تقريب الفتحة سواء أكانت طويلة أم قصيرة من الكسرة سواء كانت قصيرة أو طويلة .

الوقـــــف :

يعرف مكي الوقف قائلاً :" أن تقف على الحركة ، أي تتركها ، كما تقول : وقفت على كلامك ، أي تركته " (مكي ، 1985 : 104).

ويعرفه ابن الجزري :" هو قطع الصوت في آخر الكلمة زمناً ، ثم استئنافه بعد أخذ النفس والابتداء بعده بوصل الكلام " (ابن الجزري ، د.ت : 1/ 240 ، والوقف أربعة أنواع : (وقف انتظاري : ووقف اضطراري ، ووقف اختياري ، ووقف اختياري ، والوقف الاختياري يقسم إلى خمسة أنواع : لازم ، و تام ، وكاف ، وحسن ، وقبيح)

ويعرفه أبوحيان بقوله :" الوقف : قطع النطق عند أخراج اللفظة ، وهو اختياري " (الأندلسي ، 1988 : 798/2).

من تعريف مكي نجده يقصد الوقف الاختياري ، وهو أن يقف القارئ باختياره وهو قصد الاستراحة ، ولا يكون هناك سبب عارض قد أوجب وقوفه .

والعلامة الدالة على الوقف في الكتابة هي السكون ، وهي علامة ترك الحركة ، وهي كذلك عند مكي فقد أدركها ، ففي فصل الوقف على هاء الكتابة وميم الجمع قال : " فإذا وقفت على هاء الكتابة وهي مضمومة وقبلها ضمة أو واو وقفت بالإسكان لاغير" (مكي ، 1981 : 211/1).

وعدم وجود الحركة عند علماء اللغة له دلالة ووظيفة نحوية، وقيمة صرفية على مستوى التركيب تميّز الصيغ الصرفية من بعض ، فمن الناحية النحوية نجد السكون علامة إعرابية بجزم الفعل المضارع غير المعتل الآخر ، وعلامة بناء فعل الأمر الذي يكون مضارعه غير ناقص ، ونجد عند المحدثين أن للسكون دوراً في البنية المقطعية للكلمة العربية ، وذلك من حيث تمييز المقطع المنتهي بحرفٍ خالٍ من الحركة .

وذلك نحو: ضَرَبْ da/rab

فالمقطع الثاني (القصير المغلق) لو كان الصوت الأخير متحركاً لوجدنا هذه الكلمة قد تغيرت بنيتها المقطعية إلى ثلاثة مقاطع :

ضَ رَ بَ d̲a/ra/ba

ويعرف المحدثون الوقف :" هو قطع النطق عند آخر الكلمة اختياراً لجعلها آخر الكلام ، وغالباً تلزمه تغييرات إما في الحركة بحذف أو بروم أو إشمام ، وإما في الكلمة بزيادة عليها إما بتضعيف ، وإما بهاء السكت وإلى غير ذلك " (السامرائي ، 1993 : 1) .

ويرجع الدكتور تمام حسان ظاهرة الوقف " إلى كراهية توالي الأضداد أو كراهية التنافر"(حسان ، د.ت : 270)

أهم طرائق الوقف :-

الوقف بالإسكان :

وهو أكثرها شيوعاً والغالب في الاستعمال ، وقد تحدثنا عنه وبيّنا أهميته في البنية المقطعية ، فالسكون كقولك : هذا فَرَج ، وعلامته في الخط خاء فوق الحرف ... " (التكملة : 19) ، والأصل أن " نقف على المتحرك بالسكون " (يعقوب ، 1986 : 575) .

الوقف بالإشمام (سيبويه ، 1999 : 282/4 ، الأندلسي ، 1988 : 798/2) :

يعرفه مكي :" هو ضم شفتيك عن غير صوت ، وهو إنما يكون في المرفوع خاصة " (مكي ، 1985 : 104) ، وهو عند المحدثين : " إشارة الشفتين إلى الضمة بعد الوقف بالسكون مباشرة من غير تصويت بالحركة ضعيف أو قوي ، وذلك بأن تضم شفتيك بعد إسكان الحرف ، وتدع بينهما بعض انفراج يخرج منه النفس ، فيراهما الرائي مضمومتين ، فيعلم أنك أردت بضمهما الحركة المضمومة، وهذا إنما يراه البصير لا الأعمى ، وهو في الحقيقة وقف بإسكان الحرف ، والضمة إنما يشار إليها بالشفتين " (يعقوب ، 1986 : 576) .

وتخصيص الإشمام عند مكي للمرفوع إنما يدل عليه ضمّ الشفتين اللتين يكون وضعهما يشابه وضع نطق الضمة ، ولكنّ هذا يكون من غير إصدار صوت ، وعدم سماع الصوت مع الإشمام فهو يماثل الإسكان وهو عدم الصوت ، بخلاف الرّوم بوجود صويت معه .

وأشار أبو حيان أنّ الكسائي كان " يعجبه أن يُشمّ آخر الحرف الرفع والخفض في الوقف ، وعن أبي عمرو أنه قرأ " فأوفِ "(يوسف : 88) بإشمام الجر " (الأندلسي ، 1988 : 808/2، 809).

الوقف بالروم :

وهو الوقف باختلاس الحركة الأخيرة ، أي بتخفيفها دون إتمامها ، وأكثر القرّاء يمنعون الوقف بالروم في المنتهي بفتحة " (يعقوب ، 1986 : 576) .

ومفهومه عند مكي :" هو إضعاف الصوت بالحركة وهو يكون في المخفوض والمرفوع "(مكي ، 1985 : 104 ، وهو عند أبي حيّان " الإتيان بالحركة ضعيفة إشعاراً بما كان في الأصل ويدركه الأعمى والبصير" الأندلسي ، 1988: 808/2).

ويقول :" والفرق بين الروم والإشمام أنّ الأعمى يسمع الروم ولا يسمع الإشمام إذا كان في السواكن لأنّ الروم حركة ضعيفة " (مكي ، 1985 : 105).

ويلاحظ الباحث من كلام مكي أنه كغيره من القرّاء لم يحدد مقدار الحركة المُرامة ــ أعني الجزء المتبقي منها ــ هو نصف الحركة أم ثلثها ، كما ويلاحظ أنه أجاز رَوم المنصوب غير المنون ، على الرّغم أن معظم القراء قد تركوا الرّوم في المفتوح أو المنصوب غير المنون " إلاّ أنّ عادة القرّاء أن لا يروموا المنصوب ولا المفتوح لخفتهما وسرعة ظهورهما ، إذا حاول الإنسان الإتيان ببعضهما فيبدوا الإشباع لذلك " (الذاني، 1999 : 169) .

وقال أبوحيان :" ويحتاج في المفتوح والمنصوب إلى رياضة لخفة الفتحة ، وتناول اللسان لها بسرعة ... وقال ابن الباذش : زعم أبو حاتم أن الرّوم لا يكون في المنصوب لخفته والناس على خلافه " (الأندلسي ، 1988 : 808/2 ، ابن الباذش ، 1999 : 314/1) .

الوقف بالنقل :

وهو من الوجوه القليلة الاستعمال وهو:" أن تقف بنقل حركة الحرف الأخير إلى ما قبله، كقراءة بعضهم :" وتواصوا بالصبِر"(العصر: 5) ، إذ نُقلت حركة الحرف الأخير وهي الكسرة إلى الحرف الساكن قبله وهو " الباء " ، والغرض إما بيان حركة الإعراب ، أو الفرار من التقاء الساكنين "(فتحيّة ، 1978 : 282) .

ويذكر أبوحيان شروطاً لنقل الحركة قائلاً :" وشرطه أنْ لا يكون حرف علة ، نحو : دار ، بين ، يوم ، ولا مدغم في الحرف الأخير نحو : العسلّ ، وأن لا يكون المنقول منه إلا حرفاً صحيحاً احترازاً من نحو : ظبى وغزو ، وأن لا يؤدي النقل إلى عدم النظير في الأسماء إلا أن يكون مهموزاً، فلا يُنقل في " بُسرٍ" مجروراً، فنقول :" بُسِرْ " ولا في بَكْرُ مرفوعاً فنقول بكُرْ ، وأن لا تكون الحركة فتحة نحو رأيت العِلْمَ " (الأندلسي ، 1988 : 810/2 ، 811 ، سيبويه ، 1999 : 173/4، 174) .

والوقف بالنقل لم يأخذ به القراء إلا ما أوثر عنهم في قوله تعالى :" وتواصوا بالصبِر" وهو ما نقل عن أبي عمرو بكسر الباء من " الصبِر" (الأندلسي ، 1988 : 811/2) .

الوقف بالتضعيف :

" وذلك بتضعيف الحرف الموقوف عليه ، نحو : هذا سالمّ ، ولا يوقف بالتضعيف في ما كان آخره همزة أو حرف علة ، أو ما كان قبله ساكناً " (يعقوب ، 1986 : 576) .

وقال سيبويه :" وأما التضعيف فقولك : هذا خالدّ ، وهو يجعلّ ، وهذا فَرَجّ ، حدثنا بذلك الخليل عن العرب ، ومن ثم قالت العرب في الشعر في

القوافي :" سَبْسَبّا ، يريد : السَبْسَبْ و" عيهلّ " يريد العيهل " (سيبويه ، 1999 : 283/4).

" والوقف بالتضعيف قليل في اللغة العربية ، وهو مع قلته لغة بني سعد خاصة " (فتحية ، 1978 : 282) .

الوقف بهاء السكت :

و تزاد في آخر الكلمة الموقوف عليها ، والغرض منها هو بيان ما قبل الهاء، والمحافظة عليها من الحذف ، وهذه اللغة شائعة في كثير من المواضع في القرآن الكريم ، وفي كلام العرب ،

فقد ذكر مكي الوقف بزيادة هاء السكت ، ما رواه عن البزّي عن ابن كثير " يقول في الوقف : (عمه ، وبمه ، وفيمه) وشبهه ، فيأتي بها لبيان حركة الميم ، وهذه الهاء هي هاء السكت في كتابيه ، وحسابيه(الحاقة : 20 ، 26، وكذلك ماليه و سلطانيه) ، وشبهه ، أتى بها لبيان حركة الياء لأنها اسم على حرف واحد متحرك " (مكي ، 1981 : 129/1).

وذكر مكي أنها تزاد في آخر الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم المنصوبة في الوقف " كتابيه ، حسابيه " ، وتلحق هاء السكت كذلك الأمر بعض الضمائر المنفصلة وهي : في قوله تعالى : " وما أدراك ماهيه " (القارعة : 10) ، فقد ذكر مكي أن هذه الهاء قد أضيفت لبيان حركة الياء (مكي ، 1987 :238/2).

وتدخل هاء السكت على آخر فعل الأمر المعتل الآخر ، وذلك لبيان حركة ما قبلها قبل بنائه على حذف حرف العلة ، فتلحق الهاء به لإظهار حركة الدال (الكسرة) التي تدل على الياء المحذوفة من بناء فعل الأمر (اقتدي) (مكي . 1987 : 160/1 ، التبصرة ، 1985 : 162) ، ومنه الوعد فهِ و قِه .

وجلب هاء السكت في أمر الفعل اللفيف المفروق واجب ، وتزاد هاء السكت في آخر الفعل المضارع المعتل اللام نحو : (لم يتسنّه) ، والفعل تسنّ بمعنى تغير، فصار يتسنى ، فحذفت الألف للجزم فبقي يتسنّ، فجيء بالهاء لبيان حركة النون في الوقف (مكي ، 1987 : 128/1)

والذي يراه الباحث أن الهاء يؤتى بها لإغلاق المقطع المفتوح إذ إن العربية تكره الوقوف على المقاطع المفتوحة نحو :

Fih ⟵ fi ⟵ فِ ، kih ⟵ ki ⟵ قِ

الرَّوْم والإشمام :

الروم والإشمام كلاهما طريق من طرق الوقف كما ذكرنا ، يعرف مكي الروم قائلاً :" هو إضعاف الصوت بالحركة ، وهو يكون في المخفوض والمرفوع ... ، وأما المنصوب الذي لا يصحبه التنوين نحو : " فاطر ، عالم ،المضافين وإياك ، فيجوز الروم ، غير أن عادة القراء لا يرومون فيه ، وأن يقفوا بالسكون للجميع " (مكي ، 1985 : 104 - 105 ، مكي، 1981 : 122/1)، وقد جعل سيبويه الروم في الحركات الثلاثة (سيبويه ، 1999 : 168/4 ،171).

والإشمام : " ضمّ شفتيك من غير صوت ، وهو إنما يكون في المرفوع خاصة " (مكي ، 1985 : 104) .

ويقول مكي في توضيح مفهومهما في موضع آخر :" والإشمام هو ضمك شفتيك من غير صوت يسمع ، والرّوم صوت ضعيف يسمع خفياً يكون في المرفوع والمخفوض والمنصوب الذي لا تنوين فيه ، والإشمام لا يكون إلا في المرفوع " (مكي ، 1987 : 380/1 ، 381) .

من خلال تعريف مكي لهذين المصطلحين ندرك أنّ الروم يكون في الحركات الثلاثة الضمة والكسرة والفتحة ، بشرط أن لا تكون تنويناً، أما

الإشمام فهو مختص للمرفوع ، وهو أقل حركة وظهوراً من الروم لأن حركة الإشمام تشبه السكون ، حيث لا عمل لأعضاء الجهاز النطقي في السكون ، وكذلك الإشمام سوى الإيماء بالشفتين للضمة من غير صوت وعندما تحدث مكي عن الروم والإشمام في الكشف أفرد باباً أسماه " علل الروم والإشمام " ، وبدأ حديثه عن تفسير استعمال العرب لهما قائلاً : " اعلم أن الروم والإشمام إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة كيف كانت في الوصل ، وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام ، لأن الروم يسمع ويرى ، والإشمام يُرى ولا يُسمع ، فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل ، ومن أشمّ الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك ، والإشمام لا يكون إلا في المرفوع والمضموم .

فالروم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة يسمعها الأعمى بحسّه ، والإشمام إتيانك بضمّ شفتيك لا غير من غير صوت ، ولا يفهمه الأعمى بحسّه لأنه لِرَأي العين .

والفرق بين الوقف على الحركة والوقف بروم الحركة، أنك إذا وقفت على الحركة تولدت من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء ، وإذا وقفت بالروم لم يتولد منه شيء"(مكي ، 1981 : 122/1)

وهنا يشير مكي إلى أنّ الروم أقوى في الدلالة على الحركة من الإشمام ، لظهور صوت الحركة في السمع على الرغم من ضعفه ، أما الإشمام فلا صوت معه .

وحديث مكي يشير إلى أنّ القراء كانوا مهتمين بتعليم القراءة للأعمى والأصم ، فما الروم إلا إشارة صوتية تعليمية للأعمى ، والإشمام من قبيل الإشارة المرئية للأصم الذي ينظر ولا يسمع ، فكلا المفهومين يمكن أن نعدّه من الوسائل التعليمية المتاحة لتعليم كتاب الله عز وجل .

ومفهوم الروم والإشمام عند البصريين يختلف عن مذهب الكوفيين، وفي هذا قال مكي عن مذهب الكوفيين :" يترجمون عن الإشمام الذي لا يسمع بالروم ، ويترجمون عن الروم الذي يسمع بالإشمام الذي لا يسمع ، فكأن الروم عندهم من قولك : رمت فعل كذا ، وأنت لم تفعله ، والإشمام من قولك : شمت كذا إذا وجدت ريحه ، فذلك أمكن في وجود الفعل من الروم ، فلذلك سمّوا ما يُسمع بالإشمام ، وما لا يسمع بالروم "(مكي ، 1981 : 123/1) .

ويفرّق مكي بين الروم والإشمام من ناحية أخرى ، فقد ذكر أن الروم يكون في أواخر الكلم ، والإشمام يكون في الأوائل والأواسط والأواخر (مكي ، 1985 : 105) .

ونجد أن الإشمام في وسط الكلمة يختلف عن الإشمام في آخر الكلمة، ففي وسطها يكون هناك صويت يخرج بين الضمة والكسرة ، أما في آخرها فلا صوت البتة وذلك نحو :

قــيِــل   Kuila

بعد القاف جزء قليل من صوت الضمة ، وبعده جزء كبير من الكسرة ، وذلك نحو: نطق القيسين وبني أسد ياء المدّ ممالة ، نحو : الواو في مثل: " قيل ، بيع " (يعقوب ، 1986 : 72) .

وقال علماء العربية القدماء بـــ " أنّ الإشمام يكون للحركة والحرف " (مرعي : 1993 : 188) ، فإشمام الحركة قد تحدثنا عنه ، أما إشمام الصوت فقد تحدث عنه مكي عند حديثه عن تخريج قراءة خلف عن حمزة إذ قال :" أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر، لأن الصاد حرف مهموس ، والطاء حرف مجهور ، أشمّ الصاد لفظ الزاي للجهر الذي فيها، فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر اللذين هما من

صفة الزاي ، وحسن ذلك لأن الزاي من مخرج السين ، والصاد مؤاخية لها في الصفير ... ليكون عمل اللسان من جهة واحدة فذلك أخف عليهم " (مكي ، 1981 : 1/ 34، 35) ، وهذا تخريج في قوله تعالى :" الصراط ، صراط " (الفاتحة : 6) .

نستنتج مما سبق أن الروم عند البصريين ومكي هو نطق جزء يسير من الحركة سواء الضمة، أو الكسرة ، أو الفتحة يدركه البصير القريب من القارئ ، وأما الإشمام هو ضمّ الشفتين من غير صوت ، ويكون للمرفوع خاصة .

ووجدنا أنّ هذين المفهومين (الروم والإشمام) يختلفان في دلالتهما عند الكوفيين كما يعرفه البصريون ، فالكوفيون يعرّفون الإشمام بالذي يسمع ، والروم لا يسمع وهو على خلاف ما يعرّفه البصريون .

ووجدنا أنّ الروم يكون في الأوائل والأواسط والأواخر ، أما الإشمام فلا يكون إلا في الأواخر، غير أنه ورد في نحو قولك :" قيل ، بيع " وذلك بإشراب صوت الكسرة صوت الضمة .

وورد عن علماء العربية أن الإشمام يكون للحركة والصوت ، وذلك نحو إشمام الصاد صوت الزاي .

المـدّ والقصـر :

يعرف القدماء المدّ :" عبارة عن زيادة المد في حروف المدّ لأجل همزة أو ساكن " (أبو شامة : د. ت : 83) ، وجاء في النشر معناه :" عبارة عن زيادة مط في حرف المدّ على المدّ الطبيعي الذي لا يقوم ذات هذا الحرف دونه " (ابن الجزري : د.ت : 1/ 313) .

وأما القصر :" هو عبارة عن ترك الزيادة وإبقاء المدّ الطبيعي على حاله " (ابن الجزري : د.ت : 1/ 313) ، وعرّفه أبو شامة :" ترك الزيادة من المد " (أبو شامة : د.ت) .

لقد تحدث مكي عن حروف المد في باب صفات الأصوات قائلاً: " وهي ثلاثة أحرف : الألف، والواو الساكنة التي قبلها ضمة ، والياء الساكنة التي قبلها كسرة ، وإنما سميت بحروف المد لأنّ مدّ الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن مع ملاصقتهنّ لساكن بعدهنّ، أو همزة قبلهن، أو بعدهن ، ولأنهن في أنفسهن مدّات " (مكي ، 1996 : 125) .

وأجاز مكي تمكين مدّ نصفي المد (حرفي اللين) : الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهنّ ، فقد قال في الكشف :" أنّ المد لا يكون إلا في حروف المد واللين ، وهي الألف التي قبلها فتحة ، والواو التي قبلها ضمة ، والياء التي قبلها كسرة ، وإنما يكون المدّ في هذه الحروف عند ملاصقتهنّ لهمزة، أو ساكن مشدّد، أو غير مشدّد نحو :" جاء ، قائم ، دابة، اللائي " (على الترتيب : النساء : 43 ، آل عمران : 39 ، البقرة : 164 ، الأحزاب : 4) في قراءة من أسكن الياء ، ويكون المدّ أيضاً في حرفي اللين إذا أتت بعدهما همزة أو مشدد ، وحرفا اللين الواو والياء الساكنتان اللتان قبلهما فتحة نحو :" شَيْء ،و سَوْء" (البقرة : 20 ، التوبة : 98) " (مكي : 1/45) .

وقد سبق مكياً سيبويه وابن جني في الحديث عن أسباب المدّ في أصوات المدّ بعد الهمزة والساكن المدغم أو المشدّد .

من الملاحظ أن عملية المدّ قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالهمزة التي عُدّت منذ القدم مشكلة واجهت وتواجه أبناء العربية ؛ لتعدد وجوه نطقها بين التحقيق والتخفيف ، والاختلاف في عملية كتابتها ، فوجدنا الاختلاف حول الهمزة ، مما جعل القراء على قدر من الحذر في عملية نطقها ونطق

ما جاورها من حيث المدّ أو عدمه . وظهرت الاختلافات في القراءة في إشباع المدّ أو القصر ، مثل الهمزة أو بعدها أو تكون بين بين أو مخففة وغير ذلك .

ويعلل مكي لحدوث المدّ في الأصوات قائلا :" إنّ هذه الحروف خفية والهمزة حرف جَلْد بعيد المخرج ، صعب في اللفظ ، فلما لاصقت حرفاً خفياً خيف عليه أن يزداد بملاصقته الهمزة له خفاء ، فبيّن بالمد ليظهر ، وكان بيانه بالمدّ أولى لأنه يخرج من مخرجه بمدٍ مبيّن بما هو منه ، وبيان حرفي اللين بمد دون البيان في حروف المد واللين لنقص حرفي اللين بانفتاح ما قبلهما عن حروف المد واللين اللواتي حركة ما قبلهن منهن ، فقوين بالمد لتمكنهن بكون حركة ما قبلهن منهن ، وضعف حرف اللين في المدّ لكون حركة ما قبله ليست منه " (مكي : 46/1) .

نستخلص من حديث مكي أنّ الخفاء الذي يكون في أصوات المدّ يزداد ويتأثر عندما يجاور الهمزة " الجلْد " ، الذي يؤثر على قارئه لهذا وجدنا المدّ لإظهار هذه الأصوات .

وقد فصل مكي بين أصوات المد وأصوات العلة ، حيث أدرج كل من المصطلحين تحت بابين منفصلين كما تحدثنا في باب صفات الأصوات ، ويقول الدكتور غالب فاضل المطلبي في هذا :" ومن ملاحظات مكي الجليلة في مجال دراسة أصوات المد فصله مصطلح علة عن مصطلح " مد " فصلاً تاماً " (المطلبي ، 1984 : 95) .

الفصل الثالث

مصادر مكي بن أبي طالب الصوتية :

لقد تنوعت مصادر مكي بن أبي طالب الصوتية في كتابيه الرعاية والكشف عن وجوه القراءات، فوجدناه يشير إلى عدد من اللغويين والنحاة والقراء الذين بحثوا في الأصوات ، فكتب القراءات كثيراً ما كانت تتضمن إشارات إلى قضايا صوتية، كانت في خدمة علم التجويد ، لخدمة القرآن الكريم وتلاوته ، ومن هؤلاء القراء أبو عمرو، ونافع، والكسائي، وحمزة، وابن كثير، وقالون، وورش، وابن عامر، وغيرهم .

ولم تكن كتب اللغويين تقل أهمية في احتوائها على كثير من القضايا الصوتية، نحو كتب العين للخليل والكتاب لسيبويه والمقتضب للمبرد ، وكذلك الأمر بالنسبة للنحويين كأمثال ابن جني وخاصة في كتابه سر صناعة الإعراب إذ احتوى على كثير من القضايا الصوتية .

و صرح مكي في بداية حديثه في كتاب الرعاية أنه استقى مادته الصوتية من كتب الذين سبقوه إذ، يقول : " ورأيت شرح هذا وبيانه متفرقاً في كتب المتقدمين والمتأخرين ، غير مشروح للطالبين ، قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وبيان قويها وضعيفها واتصال بعضها ببعض ..." (مكي ، 1996 : 50-51). وقد أشار الدكتور عبد القادر مرعي إلى اعتماد مكي في دراسته على عدد من الكتب ، مثل " كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى (157 هـ) ، وخاصة مقدمة الكتاب التي وضع فيها أصول علم الأصوات ... ومن مصادره أيضا : الكتاب لسيبويه المتوفى (180 هـ) وبخاصة الجزء الرابع الذي يتحدث فيه عن مخارج الأصوات وصفاتها ، إذ اعتمد

اعتمادا كليا على الكتاب لسيبويه في تحديد مخارج الأصوات وصفاتها ... ومن مصادره المقتضب للمبرد المتوفى سنة (585 هـ) ، وخاصة الجزء الأول من الكتاب الذي يتحدث فيه عن مخارج الأصوات وصفاتها ، كما اعتمد مكي في دراسته على كتاب جمهرة اللغة لابن دريد المتوفى سنة (312 هـ) ، وخاصة مقدمة الكتاب التي يتحدث فيها عن الأصوات وصفاتها ومخرجها " (مرعي ، د.ت : 9-10).

ولكنّ مكياً لم يكن مجرد ناقل وحسب ، وإنما كان " مسهماً بفكره ، مدققاً بنظره ، مرجحاً بعقله ، مضيفاً بتجاربه ، فظهرت شخصيته واضحة في كل مسألة أو قضية تناولها ، وخاصة في حرصه على التعليل لكل ما يذكر حتى يطمئن قارئه ويحس أنه على أرض صلبة من الحقيقة " (ربيع ، 1980: 255).

ومن أمثلة ما أخذه مكي في بعض المسائل والقضايا الصوتية من الموضوعات التي وردت عنده في مؤلفاته موضوع الإدغام والإظهار، حيث قال عن قبح إدغام الراء في اللام ناقلاً عن سيبويه: " وأما إدغام الراء في اللام فقبيح عند سيبويه والبصريين، لأنك تذهب التكرير الذي في الراء عند الإدغام فيضعف الحرف " .

وقال في إدغام الذال في التاء في قوله تعالى : " فنبذتها " (طه : 96)، وقوله : " عذت بربي " (غافر : 27) : " أدغمها أبو عمرو وحمزة والكسائي وأظهر الباقون ، وحجة من أدغم أن قوة التاء والذال معتدلة ، لأن التاء شديدة والذال مجهورة والشدة في القوة كالجهر ، ولأنّ التاء مهموسة والذال رخوة والهمس في الضعف كالرخاوة ، فاعتدلا في القوة والضعف فحسن الإدغام لذلك ، إذ لا يدخل على الحرف الأول نقص في قوته بالإدغام على أنهما قد اشتركا في المخرج من الفم، واشتركا في

إدغام لام التعريف فيهما وقوي ذلك لاتصالهما في كلمة والإظهار حسن " (مكي ، 1981 : 1/ 159 – 160) .

وكذلك اعتمد مكي على القراء في الإدغام والإظهار أمثال حمزة وورش وأبي عمرو ونافع وعاصم ، ومن ذلك ما أورده مكي في اختلاف القراء حول إدغام تاء التأنيث وإظهارها عند ستة حروف : الجيم والطاء والصاد والتاء والسين والزاي ، فأما حمزة فكان يدغم " حجة حمزة في إدغامه تاء التأنيث في الجمع عند الصاد والزاي والذال ، فذلك يجري على ما عللنا من أن هذه الأصوات أقوى من التاء لما في الصاد من الإطباق والصفير والاستعلاء مع مؤاخاتها التاء في المخرج والهمس ، ولما في الزاي من الجهر والصفير، ولما في الذال من الجهر، فكلها أقوى من التاء، فحسن الإدغام لخروجهن كلهن من الفم، ولأن الإدغام يقوى به الحرف الأول لأنه يبدل بأقوى منه ، ولاشتراكهن في إدغام لام التعريف فيهن، والإظهار حسن لأنه الأصل ولأن الأول في هذا متحرك بخلاف ما تقدم، فإذا أنت أدغمت وأسكنت المتحرك تغيرت حركته، ثم غيرته مرة ثانية بالإدغام فأبدلت منه حرفاً من جنس الثاني وذلك تغير بعد تغير فضعف الإدغام وقوي الإظهار لذلك، ولأن عليه جماعة من القراء غير حمزة وأبي عمرو في الإدغام الكبير " (مكي ، 1981 : 1/ 151 – 152) .

وفي موضوع الروم والإشمام ذكر مكي اختلاف القراء في إشمام الضم " في أوائل ستة أفعال قد اعتلت عيناتها ، وقلبت حركتها على ما قبلها فسكنت العينات ، وقلبت ما فيه واو ياءات لانكسار ما قبلها وتلك الأفعال " سيء وسيق وحيل وجيء وقيل وغيض " فقرأ هشام والكسائي بإشمام الضم في أوائلها وقرأ ابن ذكوان بالإشمام في أول " سيء، وسيئت،

وسيق، وحيل " ، وقرأ نافع بالإشمام في سيء وسيئت خاصة " (مكي ، 1981 : 229/1) .

وفي الإمالة يقول مكي :" ومما أميل لأن ألفه أصلها الياء قوله تعالى: " ونأى بجانبه " في سبحات والسجدة " 53 ، 51 " قرأهما خلف عن حمزة والكسائي بإمالة النون والهمزة ، وقرأهما خلاد بفتح النون وإمالة الهمزة وقرأ أبو بكر في سبحان بفتح النون وإمالة الهمزة كخلاد ، وفتحها جميعاً في السجدة كالباقين " (مكي ، 1981 : 229/1).

مثال المد قوله تعالى : " ومناة الثالثة "، " قرأ ابن كثير بالمد والهمز، أعني في مناة، وقرأ الباقون بغير مدّ ولا همز وهما لغتان، فترك الهمز أكثر وأشهر ، قال أبو عبيدة : لم أسمع فيه المدّ وهو اسم صنم وترك المدّ أحب إليّ لأنها اللغة المستعملة ولأن الجماعة عليه " (مكي ، 1981 : 188 – 189).

ومثال ذلك قوله تعالى: " جعله دكا" قرأه حمزة والكسائي بالمدّ وفتح الهمزة ، غير منون وقرأ الباقون بالتنوين من غير مدّ ولا همز " (مكي ، 1981 : 296/2).

وفي القصر " قوله تعالى : " فأذنوا بحرب " ، قرأه أبو بكر وحمزة بالمدّ وكسر الذال ، وقصره الباقون وفتحوا الذال ، ووجه القراءة بالقصر أنه أمر للمخاطبين بترك الربا أُمروا أن يعلموا ذلك هم أنفسهم فالمعنى : فإن لم تتركوا الربا فأيقنوا بحرب من الله ورسوله، فهم المقصودون بأن يعلموا ذلك في أنفسهم إن لم يتركوا الربا " (مكي ، 1981 : 175/1) .

ومثال الوقف والوصل قوله تعالى : " مرضات " ... وقف عليها حمزة بالتاء وقف الباقون بالهاء وفي ذلك اختلاف ... فأما من وقف بالتاء، فإنه أتى به على لغة من قال في الوقف : طلحت ، بالتاء وحكاه سيبويه وحسن

ذلك لما كان الاسم مضافا ، والمضاف والمضاف إليه كاسم واحد ، فكأن التاء متوسطة فوقف بالتاء كما يفعل في الوصل، ليعلم أن التاء متوسطة وأن المضاف إليه متوسط بالمضاف ، فأما من وقف بالهاء فإنه أتى به على الأصل في كل هاء تأنيث، ولأنه إذا وقف بالتاء على هاء التأنيث لم يكن فرق بين التاء الأصلية التي لا تدل على تأنيث، ولا يوقف عليها إلا بالتاء نحو تاء : صوت ، وحوت ، وبين التاء الزائدة التي للتأنيث ، والمصاحف الأمهات قد اختلفت في هذا ونظائره فمنها ما كتبت فيه بالتاء ومنها ما كتبت بالتاء، فعلى لفظ الوصل ونية الوصل وما كتبت بالهاء فعلى نية الوقف " (مكي ، 1981 : 288/1).

ومثال الحذف من المصادر الصوتية عند مكي " قوله تعالى : " يتسنه " ونحوه ، قرأه حمزة بحذف الهاء في الوصل من " يتسنه " و " واقتده " في الأنعام ، و " ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه " و " ما أدراك ما هيه " في خمسة مواضع ، ووافقه الكسائي على الحذف في يتسنه ، واقتده ، وقرأ ذلك الباقون بالهاء في الوصل ولا اختلاف في الوقف في ذلك أنه بالهاء لثباتها في الخط " (مكي : 1981 : 307/1).

أما الإسكان والاختلاس ذكر مكي قوله تعالى :" ينصركم ، وبارئكم " وشبهه ، قرأه أبو عمرو في رواية الرقيين عنه بإسكان الراء والهمزة في (بارئكم) و (يأمرهم) و (يشعركم) و (ينصرِكم) و (بارئكم) على ما ذكرنا في الكتاب الأول ، وقرأ في رواية العراقيين عنه باختلاس حركة الراء والهمزة في ذلك ، واختيار اليزيدي الإشباع كالباقين ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو في رواية الرقيين عنه (أرني ، وأرنا) بإسكان الراء ، وقرأ أبو عمرو في رواية العراقيين بالاختلاس ، وقرأ ابن عامر وأبو بكر

بإسكان الراء في السجدة في قوله : (أرنا اللذين) خاصة ، وقرأ الباقون بحركة تامة .

وعلة من أسكن أنه شبه حركة الإعراب بحركة البناء ، فأسكن حركة الإعراب استخفافاً لتولي الحركات ، تقول العرب : " أراك منـــتـــفخا " بسكون الفاء ، استخفافاً لتوالي الحركات ، وأنشدوا :

وبات مُنتَصْبـــا وما تكردسا (الشاهد للعجاج)

فأسكن الصاد لتوالي الحركات ، فشّبه حركات الإعراب بحركات البناء ، فأسكنها وهو ضعيف مكروه .

وعلة من اختلس الحركة أنها لغة للعرب في الضمات والكسرات تخفيفاً ، لا ينقص ذلك الوزن ، ولا تغير المعرب ، ولما كان تمام الحركة مستثقلاً لتوالي الحركات وكثرتها ، والإسكان بعيد لأنه يغير الإعراب عن جهته فتوسط الأمرين ، فاختلس الحركة فلم يُخِلّ بالكلمة من جهة الإعراب ، ولا ثقلها من جهة توالي الحركات ، فتوسط الأمرين " (مكي ، 1981 : 1241).

ومن أمثلة مصادره الصوتية التي وردت في الرعاية ما أخذه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وذلك في مواضع كثيرة منها قول مكي : " قال الخليل : القلقلة :شدة الصياح ، وقال اللقلقة : شدة الصوت " (مكي ، 1996 : 125 ، الخليل : د. ت : 425/3).

وعنه ذكر مكي :" قال الخليل في كتاب العين : والحروف الصم : التي ليست من الحلق " (مكي ، 1996) .

وأخذ عنه في عشرة مواضع عند حديثه عن الألقاب العشرة تمام الأربعة والأربعين التي تحدث عنها مكي في الرعاية (مكى ، 1996 : 138 – 142).

وكذلك أخذ مكي عن ابن دريد إذ يقول : " قال ابن دريد : فمن ذلك حرف بين القاف والكاف، وحرف بين الجيم والكاف ، يقولون في " جمل " كمل ، وفي " القوم " الكوم ، وذلك قليل في لغاتهم " (مكي ، 1996 : 112 ، ابن دريد ، د. ت :5/1) .

وعن ابن دريد أخذ مكي لقب الأصوات المصمتة والمذلقة " فبهذين اللقبين لقب ابن دريد الحروف كلها " مكي ، 1996 : 135) .

ويذكر مكي عن المازني نصا قال فيه أن اختلاف الصفات والمخارج للحروف جعل من الممكن التمييز بينها ولولا ذلك " لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم " (مكي ، 1996 : 143).

من أمثلة المصادر التي اعتمد مكي بن أبي طالب عليها في كتابه الكشف عن وجوه القراءات ما يلي :

الرقم	الموضوع	المصدر	الجزء والصفحة
1ـ	الإدغام	سيبويه	1/ 55 ، 157 ، 165
		الكسائي	1/ 148 ، 155 ، 156 ، 156 438 2/ 71
		ورش	1/ 146 .
		البزي	1/ 314
		عاصم	1/ 144
		ابن ذكوان	1/ 144 ، 148
		خلاد	1/ 155 ،148
		أبو عمرو	1/ 88 ، 92 ، 134 ، 155 ، 159،157، 393 . 2/ 71
		ابن عامر	1/ 150، 412

	حمزة	1/ 156، 152، 148.
	الحرميان	1/ 145 ، 146، 147، 148، 148 ، 149، 149 ، 157، 155
	أبو عمرو	1/152
	الكسائي	1/156
	ابن كثير	1/161 ،157
	هشام	1/157
	حفص	1/161
3ـ الروم	الكسائي	1/ 471
	أبو الطيب	1/ 217
	قالون	1/ 471
	ورش	1/ 217 ، 471
4ـ الإشمام	سيبويه	1/ 231
	الكسائي	1/ 229
	ابن ذكوان	1/ 229

5 ــ الإمالة

		القراء	1/ 47 2/ 36
7ـ	القصر	علي بن أبي طالب	1/ 318
		أبو عبد الرحمن	1/ 318
		الأعرج	1/ 318
		شيبة	1/ 318
		عيسى	1/ 318
		أبو جعفر	1/ 318
		أبو حاتم	1/ 318
8ـ	الوقف والوصل	سيبويه	1/ 288
		الكسائي	1/ 192، 202، 203، 540 2/ 133 ، 230
		المبرد	1/ 94
		هشام	1/ 118 ، 119، 120

10ـ الإسكان

ابن كثير	1/ 241 ،327، 517 2/ 297
أبو عمرو	1/ 234، 240، 241 ، 326 ، 349 2/ 159 ، 217 ، 232 ، 236 ، 375 .
اليزيدي	1/ 240
ابن عامر	1/ 241 ، 340 ، 444 ، 466 ، 468 .
قالون	1/ 234
الكسائي	1/234 ، 466 ، 517 ، 518 . 2/ 322.
أبو بكر	1/234 ، 340 ، 349 . 2/ 69 ، 375 .
الأخفش	1/298 .
حفص	1/ 298 ، 473. 2/ 173.
ابن ذكوان	1/ 298 .

	حمزة	1/ 298، 349، 466، 518.
		2/ 159، 191، 217، 304.
	عاصم	1/466.
		2/ 159.
	الحرميان	1/ 468.
	قنبل	2/ 155، 322.
	نافع	2/354
11ـ الاختلاس	سيبويه	2/ 237.
	أبو عمرو	1/ 240، 518.
		2/ 217.
	اليزيدي	1/ 242
	قالون	1/ 401، 518.
12ـ التثقيل والتخفيف	هشام	1/73 ، 74 ، 78 ، 113 ، 364 ، 435 .
		2/ 294

	قالون	2/ 91.
	الحرميان	2/ 237، 361.
	سيبويه	1/ 106، 118.
	الأخفش	1/ 106، 114، 117، 118، 119. 2/ 220.
	أبو شعيب السوسي	1/ 84.
13- تبادل الأصوات	أبو الطيب	1/ 97.
	هشام	1/ 302. 2/ 373.
	خلف	1/ 34.
	حمزة	1/ 34، 302، 394. 2/ 99.
	ابن كثير	1/ 34.
	قنبل	1/ 34، 302.

ب ـ مصادر مكي الصوتية في كتاب الرعاية :

الرقم	الموضوع	المصدر	الصفحة
1ـ	الإمالة	حمزة	108
		الكسائي	108
		أبو عمرو	108
2ـ	صفات الأصوات	حمزة	110
		الكسائي	110
		الخليل	125، 134، 134، 137.
		بعض العلماء	128، 135، 138.
		ابن دريد	135.
		الأخفش	135، 136.
		المازني	143.
		الخليل	138، 139، 140، 141، 142، 164
3ـ	المخارج	سيبويه	193، 243، 244

	الجرمي	243
	ابن كيسان	243، 244
	أبو عمرو	202، 230
4ـ الإدغام	نافع	238
	سيبويه	266، 267
	حمزة	218
5ـ إبدال الأصوات	الكسائي	218
	بعض العلماء	207، 164
	ابن مسعود	174
	حمزة	152
6ـ التخفيف	هشام	152
	نافع	149، 147.
	ورش	194
		146

	حماد بن يزيد	146
	أبو بكر بن عياش	111، 112.
7ـ زيادة بعض الأصوات	ابن دريد الأصمعي	113

الفصل الرابع
منهجه في الدراسات الصوتية

لقد نهج مكي منهجاً مستقلاً عن سابقيه ، كالخليل، وابن جني، والمبرد من علماء اللغة وعلماء القراءات إذ خصص كتباً مستقلة لدراسة الأصوات العربية ، فوصف مخارجها وصفاتها وألقابها وعللها وما يطرأ عليها من تغييرات أثناء التركيب السياقي ، وقد كان عماد هذه الدراسة عنده وعند غيره من المجودين معرفتهم ودرايتهم بعلم التجويد القرآني ، الذي ما برح منصبا على الاهتمام بالقرآن من لفظ وتجويد .

فالدراسة الصوتية عند العرب ظهرت مع أول نزول القرآن الكريم " ذلك أن الدرس الصوتي قد بدأ ـــ في تصوري ـــ يوم نزل قوله سبحانه وتعالى :" إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم" (العلق : 1-5) " (ربيع ، 1980 : 45).

وذكر عبد القادر مرعي أنّ مكياً قد استعمل " منهجاً جديداً في دراسة الأصوات يختلف عن المنهج الذي استعمله سابقوه من علماء العربية القدماء ، أمثال الخليل، وسيبويه، والمبرد، وابن دريد، وابن جني، إذ اعتمد هؤلاء المنهج النظري في دراسة الأصوات ، والذي يقوم على دراسة مخارج هذه الأصوات، وبيان صفاتها بصورة مجردة دون أن يبين وظائفها وأهميتها في سلسلة الكلام وفي دراسة العلوم الأخرى"(مرعي ، د.ت : 18).

ففي الرعاية يتحدث مكي عن سبب تأليفه له فيقول :" وإني لما رأيت هذه الحكمة البديعة والقدرة العظيمة في هذه الحروف التي نظمت ألفاظ كتاب الله ـــ جل ذكره ـــ ووقفت على تصرفها في مخارجها ، وترتيبها

عند خروج الصوت بها ، واختلاف صفاتها وكثرة ألقابها ، ورأيت شرح هذا وبيانه متفرقاً في كتب المتقدمين والمتأخرين ، غير مشروح للطالبين قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وبيان قويها وضعيفها ، واتصال بعضها ببعض ومناسبة بعضها لبعض ومباينة بعضها لبعض ، ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف قدرة الله الكريم ، وعونا لأهل تلاوة القرآن على تجويد ألفاظه وإحكام النطق به ، وإعطاء كل حرف حقه من صفته ، وإخراجه من مخرجه باقيا ذلك على مرور الأزمان وتعاقب الأعصار ، ينتفع به المقرئ والقارئ ، والمبتدئ والمنتهي ، ويتذكر به أهل الفهم والدراية ، ويتنبه به أهل الغفلة والجهالة " (مكي ، 1996 : 50-51).

من خلال النص نخلص بأنّ مكياً حدد هدفه من الكتاب ليكون عوناً لقارئ القرآن ومقرئه ، وأنه نظر إلى من سبقه من المؤلفين فلم يجد كتاباً مستقلاً يفي بالغرض في توجيه قارئ القرآن ، بل وجده شروحات متفرقة في كتب المتقدمين ، وفيه يقول :" وما علمت أنّ أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها ، ولا إلى ما اتبعت فيه كل حرف منها ألفاظ كتاب الله تعالى ، والتنبيه على تجويد لفظه والتحفظ به عند تلاوته " (مكي ، 1996 : 52) .

فالإتقان الجيد لتلاوة القرآن لا يتم عند مكي إلا بمعرفة ثلاثة أصول مهمة سعى مكي في كتاب الرعاية إلى دراستها نظرياً وتطبيقاً عملياً على ألفاظ القرآن الكريم ، وهذه هي أن يعرف المرء مخارج الأصوات ويلم بصفاتها ، ومعرفة الظواهر التي تنتج من تأثر تراكيب الأصوات بعضها مع بعض من إدغام وقصر ومد وإمالة وغير ذلك .

وقد اتبع مكي منهجاً واضحاً في دراسته الصوتية ، فقد سار على محورين أساسين :

الأول: نظري راح فيه إلى جمع المادة الصوتية من شتى كتب اللغويين والنحاة ، فوجدنا في كتاب الرعاية كثيراً ما يشير إلى الخليل وسيبويه وابن جني والمبرد والمازني وغيرهم من لغويين ونحاة وقراء ، فكان يتتبع " الصوت اللغوي باعتباره مادة أساسية في البنيان اللغوي بدءاً من مخرج تحدده بدقة ، ثم تصفه بناءً على آلية النطق له ووقعه في السمع (عبود ، د.ت : 40) .

الثاني : عملي تمثّل في تطبيق المادة التي تم جمعها ، وذلك لتحقيق القراءة الصحيحة في أثناء تلاوة ألفاظ القرآن الكريم، واختيار القراءة الصحيحة البعيدة عن اللحن .

ولتحقيق الهدف التعليمي الذي كان مكي يسعى إليه بدأ رعايته بأبواب من الإثارة والترغيب في فضل القرآن الكريم ، وفضل طالبه وقارئه ، ووضع الأسس التي يجب أن يراعيها المتعلم في معلمه ، وأدب طالب القرآن وما يجب عليه منه حيث قال :" فنبدأ إن شاء الله تعالى بأبواب مختصرة في الترغيب في حفظ القرآن وثوابه ، وفضل أهله وما يجب على أهل القرآن من رعايته والقيام بحقه ، وصفة المقرئ والقارئ وآدابهما وما يليق مع ذلك" (مكي ، 1996 : 53).

ولتحقيق هذا الهدف أدرك مكي أهمية الدافع في نجاح العمل التعليمي وقيمة المؤثر في تأجيج الرغبة ، وإشعال الشوق إلى المعرفة والإجادة ، ورأى أنّ خير دوافع المسلم ومثيراته مرتبطة بتصوره الإسلامي النابع من القرآن الكريم ، وسلوكه الديني المنبعث من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم" (ربيع ، 1980 : 243 – 244).

وعنوان كتابه يدل على المادة الصوتية فيه "الرعاية لتجويد التلاوة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها ، وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها" ، وفيه أشار مكي إلى الهدف الذي دفعه إلى تأليف مثل هذا الكتاب ، والمنهجية التي اتبع فيها تقديم مادته وعرضها ، فقد قال بعدما أشار إلى أنه قد بدأ كتابه بأبواب مختصرة في الترغيب : " ثم نذكر علل الحروف والحركات وما استعملت العرب من ذلك واختلاف النحويين في السابق من الحرف والحركات في أشباه لذلك ، ثم نذكر الحروف وعدتها وأقسام ألقابها وصفاتها ، ثم نذكر كل حرف ومخرجه وجملة من صفته المتقدمة على مراتب المخارج ، ثم نذكر مع كل حرف ألفاظا منه في كتاب الله تعالى تحضٌ على التحفظ لتجويد لفظه وإعطائه في القراءة حقه لئلا يغفل عنه فيدخله خلل أو توجب ذلك فيه " (مكي ، 1996 : 53 – 54).

وختمه بقوله :" ثم نختم الكتاب بمعرفة إحكام اللفظ بالحروف المشددات ، وتفاضلها في التشديد ، والوقف على المشدد وغير مما تكمل به فائدة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى" (مكي ، 1996 : 54).

وقد حدّد مكي في كتابيه الرعاية والكشف أنّ الدراسة الصوتية قد تركزت على إطار القراءات القرآنية ، فبهذا كانت دراسته على هذا المستوى من اللغة ، وهذا يحدد أن دراسته تناولت المستوى الفصيح من اللغة.

كما بين مكي الغرض من هذا المنهج تعليم القارئ الأصول الصحيحة للقراءة دون الخوض في الاختلافات بين القراء ، إذ كان يذكر ما اتفق عليه القرّاء مشيراً إلى أنّ هذا الكتاب كان كتاب فهم ودراية ،" فليس هذا كتاب اختلاف وإنما هو كتاب تجويد ألفاظ ووقوف على حقائق الكلام " (مكي ، 1996 : 154) .

ويعد التعليل عند مكي من الخصائص المنهجية في دراسة الأصوات وخاصة بما يتعلق عنده في صفات الأصوات وألقابها ، فقد ذكر سبب وعلة التسمية لكل لقب أو صفة ، وقد كان كثيراً ما يربط بين المعنى الاصطلاحي واللغوي للمفردة الواحدة ، ومثال ذلك في بيان سبب تسمية أصوات المد بهذا المصطلح إذ يقول مكي :" وإنما سمين بحروف المدّ لأنّ مدّ الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهنّ ، مع ملاصقتهنّ لساكن بعدهن أو همزة قبلهنّ أو بعدهنّ ، ولأنهنّ في أنفسهن مدات "(مكي ، 1996 : 125) .

ويذكر كذلك تعريف الصوت المهموس معللاً :" وإنّما لقب هذا المعنى بالهمس لأنّ الهمس هو الحس الخفي الضعيف ، فلما كانت ضعيفة لقبت بذلك ، قال الله ــ جل ذكره ــ :

" فلا تسمع إلا همسا " (طه : 108) قيل : هو حس الأقدام "(مكي ، 1996 : 116) .

وقد جعل مكي كتاب الكشف شرحاً لكتابه التبصرة الذي ذكر فيه روايات القراء وأصولهم ، وذكر فيه اختياراته وذلك بهدف التسهيل على القارئ المبتدئ حفظها ، وبعد ذلك أشار إلى أنّه سيؤلف كتاباً غيره يذكر فيه علل وحجج هذه القراءات ، وهو كتاب الكشف حيث قال مكي :" فجمعت في هذا الكتاب من أصول ما فرق في الكتب وقرّبت البعيد فهمه على الطالب ، واعتمدت على حذف التطويل والإتيان بتمام المعاني مع الاختصار لكونه تبصرة للطالب ، وتذكرة للعالم ، حتى قويت نيتي في كتاب قد علقت أكثره أجعله لنفسي تذكرة إن شاء الله ، أذكر فيه كشف وجوه القراءات واختيار العلماء في ذلك ، ومن قرأ بكل حرف من الصدر الأول وأقاويل النحويين وأهل اللغة لا أخرج فيه عن شرح ما ذكرته في

الكتاب من الاختلاف ، اسميه كتاب الكشف عن وجوه القراءات"(مكي ، 1985 : 26 ، 27) .

فكتاب الكشف هو شرح لما جاء في التبصرة من قراءات وأصول لها، فالكتابان هما شرح للموضوعات نفسها ، ويشير مكي إلى الترابط الشّديد بين هذين الكتابين في قوله : " كنت قد ألفت بالمشرق كتابا مختصراً في القراءات السبع ، في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (كتاب التبصرة) ، وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات ، طلبا للتسهيل وحرصا على التخفيف ووعدت في صدره أني سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب (كتاب التبصرة) ووجوهها ، وأسميه (كتاب الكشف عن وجوه القراءات) ، ثم تطاولت الأيام وترادفت الاشغال عن تأليفه وتبيينه ونظمه إلى سنة أربع وعشرين وأربعمائة"(مكي ، 1981 : 1/ 3، 4) .

وقد مهدّ مكي في كتابه الكشف لدراسة الإدغام والإظهار بالحديث عن صفات الأصوات باختصار ، وحدّد لكل صفة قوتها أو ضعفها ، وما يؤثر ذلك في الإدغام ، وكذلك تحدّث عن مخارج الأصوات وعلاقتها بالإدغام .

وتبدى المنهج التعليمي عند مكي بن أبي طالب جلياً في كتابه الرعاية، فكان كثيراً ما ينبه قارئ القرآن بإعطاء كل حرف حقه من المخرج والصفة ، كي لا يتعدى هذا الحرف إلى غيره ، فيقع القارئ في الخطأ واللحن ، ويشير عبد القادر مرعي إلى هذا قائلا :" كما لجأ مكي إلى المنهج التعليمي في دراسة الأصوات ، إذ يذكر كل حرف ومخرجه وصفته بأسلوب سهل وواضح ، ثم يذكر مع كل حرف ألفاظاً من كتاب

الله، مبينا الطريقة الصحيحة والسليمة في نطق هذا الصوت من خلال هذه الألفاظ والآيات التي يستعملها "(مرعي ، د.ت : 19 ، 20).

ومن أمثلة النمط التعليمي عند مكي توجيهه لقارئ القرآن في إعطاء الصوت حقه من القوة قائلاً :" فافهم هذا لتعطي كل حرف في قراءتك حقه من القوة ، ولتتحفظ بيان الضعيف في قراءتك" (مكي ، 1996 : 118).

ويقول :" والهمس والرخاوة من علامات ضعف الحرف فاعرف هذه المقدمة " (مكي ، 1996 : 118).

وقوله في الهمزة موجها حديثه لقارئ القرآن :" فيجب على القارئ أن يعرف جميع ذلك من أحوالها وطباعها "(مكي ، 1996 : 145).

ويزيد قائلاً :" فيجب على القارئ أن لا يتكلف في الهمزة ما يقبح من ظهور شدّة النبر بنبرة الصوت ، وأن يلفظ بالهمز مع النفس لفظاً سهلاً " (مكي ، 1996 : 146).

وقد كان مكي ينبه متعلم القرآن بقسوة أحياناً إذ يقول منبها القارئ على إظهار الهمزة في عدة مواضع :" فاعرف هذا كله وتحفظ منه في وقفك ، وإن لم تتحفظ من إظهار الهمزة في هذا في وقفك كنت حاذقاً حرفاً ولاحناً في ذلك "(مكي ، 1996 : 160).

فالمنهج التعليمي تبدى واضحاً بين ثنايا كتابه الرعاية الموجه إلى القارئ والمقرئ فكثيراً ما كان ينبّهما بقوله :" فقس على ما ذكرت لك من هذه الأصول ، وخذ نفسك في تلاوتك باستعمالها يصر لك طبعاً وسجية ، وتحسن ألفاظك بذلك وتقرأ على أصل وصواب " (مكي ، 1996 : 172)

وقوله :" فافهم جميع ذلك وقس عليه تصب الصواب في قراءتك إن شاء الله "(مكي ، 1996 : 261).

كما كان لمكي اختياراته ، إذ كان يتخير الوجه الحسن ويبتعد عن القبيح فيما يذهب إليه ، إذ يقول في حديثه عن الهاء من حيث الإدغام إذا كانت في نهاية كلمة وبداية الكلمة التالية :

" وإنّما وقع ذلك في هاء السكت ، نحو قوله :"ماليه * هلك عنّي "(الحاقة : 28 – 29) الاختيار : أن لا تدغم الهاء الأولى الساكنة في الثانية ، وأن تنوي عليها الوقف ، وقد أخذ قوم في ذلك بالإدغام والتشديد وليس بمختار لأنه يصير قد أثبت هاء السكت في الوصل وذلك قبيح "(مكي ، 1996 : 158)

من هنا يجد الباحث أنّ مكّياً كان يستحق وصفه مجدداً في الدرس الصوتي ، ويظهر هذا من قوله :" وما علمت أنّ أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ، ولا إلى جمع ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها "(مكي ، 1996 : 158).

فمكي قد أخرج الدراسة الصوتية من طور المنهج النظري إلى المنهج الوظيفي التعليمي " أما مكي فقد درس الأصوات دراسة وظيفية وربطها بعلم التجويد لخدمة الدين وخدمة القرآن الكريم واللغة العربية ، ولكي ينتفع بها القارئ والمقرئ ، ولتكون عوناً لأهل تلاوة القران على تجويد ألفاظه وإحكام النطق به "(مكي ، 1996 : 52).

فالهدف من دراسته الصوتية هو لعون القارئ والمقرئ ، فكلاهما بحاجة إذ يقول :" والمقرئ إلى ما جميع ما ذكرناه أحوج من القارئ ، لأنه إذا علِمَه علّمَه ، وإذا لم يَعْلَمْه لم يُعلّمْه ، فيستوي في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ ، ويضل القارئ بضلال المقرئ فلا فضل لأحدهما على الآخر.

فمعرفة ما ذكرنا لا يسعُ من انتصب للإقراء جهله ، وبه تكمل حاله وتزيد فائدة القارئ الطالب ويلحق بالمقرئ ، وليس قول المقرئ والقارئ :

(أنا أقرأ بطبعي ، وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئا مما ذكرته) بحجة ، بل ذلك نقص ظاهر فيهما ،لأن من كانت هذه حجته يصيب ولا يدري ، ويخطأ ولا يدري ، إذ علمه واعتماده على طبعه وعادة لسانه يمضي معه أين ما مضى به من اللفظ ، وذهب معه أين ما ذهب ، ولا يبني على أصل ولا يقرأ على علم ، ولا يقرئ عن فهم.

فما أقربه من أن يذهب عنه طبعه ، أو يتغير عليه عادته ، وتستحيل عليه طريقته ، إذ هو بمنزلة من يمشي في ظلام في طريق مشتبه فالخطأ والزلل منه قريب ، والآخر بمنزلة من يمشي على طريق واضح معه ضياء ، لأنه يبني على أصل و ينقل عن فهم ، ويلفظ عن فرع مستقيم وعلة واضحة ، فالخطأ منه بعيد ، فلا يرضين إمرؤ لنفسه في كتاب الله ـــ جل ذكره ـــ وتجويد ألفاظه إلا بأعلى الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل ، والله الموفق للصواب "(مكي ، 1996 : 254).

ويذكر الدكتور عبد القادر مرعي عن نهج مكي في دراسته قائلاً :" أنّ المنهج الذي اتبعه مكي في دراسة الأصوات وتعلّمها ونطقها نطقاً صحيحاً من خلال الألفاظ والتراكيب التي ذكرها يمثل منهجاً وأسلوباً لمعالجة عيوب النطق ، وذلك عن طريق تقليد المتعلمين أو المتدربين للمقرئ في نطق الأصوات نطقاً سليماً ، ثم تكرير النطق حتى يستقيم نطق المتعلم لذلك الصوت ، وهذا هو ما تعمل به المختبرات الصوتية الحديثة في عيوب النطق وأمراض الكلام حيث يقوم المدرب بنطق الصوت أمام الشخص المعالج نطقاً صحيحاً عدّة مرّات ثم يأتي بألفاظ وجمل تتضمن نفس الصوت ، ويكررها أمامه ويطلب منه إعادة نطق الكلمات عدة مرات حتى يستقيم له النطق "(مرعي ، د.ت : 21 ، نقلاً عن مختار، 1976 :354) .

و أشار الدكتور عبد القادر مرعي إلى أهمية منهج مكي في دراسة الأصوات حيث يمكن توظيف هذا المنهج في تعليم اللغة العربية لغير العرب ، " إذ يمكن أن يشكّل هذا المنهج أسلوباً لتعلم اللغة لغير الناطقين بها ، وذلك عن طريق السماع والتقليد والتكرير إذ يقوم الطلبة المتدربون بالسّماع إلى المدرّس وهو ينطق الأصوات والألفاظ والتراكيب نطقاً صحيحاً ، ثم يقلّدون نطق ما يسمعونه ، ويكرّرون النطق عدة مرات حتى يسقيم لهم النطق الصحيح لهذه الأصوات والألفاظ"(مرعي ، د.ت : 21 – 22).

وقد ظهر في منهجية مكي أثناء دراسته الصوتية بعده عن الإطالة والتكرار ، حيث صرّح مكي بهذا قائلاً :" قد أتينا على ما شرطنا ، واختصرنا الكلام في العلل غاية ما قدرنا ،من غير أن نكون قد أخللنا بعلة، أو تركنا حجة مشهورة ، وأوجزنا العلل خوف التطويل ، واختصرنا ذكر قراءة التابعين ومن وافقهم لمن ذكرنا من القرّاء ، لئلا يطول الكتاب فيُعجَز عن نسخه ، ويحدث الملل في قراءته ، ولو تقصينا جميع العلل والحجج في كل حرف وذكرنا قراءة التابعين ومن وافقهم لكل حرف وجاوبنا عن كل اعتراض يمكن أن يعترض به معترض لصار الكتاب أمثاله ، ولطال الكلام ، وعظم الشرح ، ولكن قد ذكرنا ما فيه إن شاء الله كفاية لمن فهم إشارتي وتعليلي "(مكي ، 1981 : 2/ 392) .

الخاتمة :

لقد أضاف مكي أفكاراً صوتيةً جديدةً اتسم بها منهجه في دراسة الأصوات من تحليل وتفصيل وتبويب للمادة الصوتية ، كي تكون عوناً للقارئ والمقرئ ، كما أشار في كتابه الرعاية قائلاً :" فمن أئتمّ بكتابي هذا في تجويد ألفاظه وتحقيق تلاوته ، ممن سلم من اللحن والخطأ ، وضبط روايته التي يقرأ بها ، قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار ومرور الأزمان مقام المقري الناقد البصير الماهر النِّحرير".(مكي ، 1996 : 53)

وقد تمثلت أهم النتائج في الفصل الأول ، مخارج الأصوات وصفاتها عند مكي بن أبي طالب القيسي أنّه استعمل كثيراً من المصطلحات الصوتية الخاصة التي أطلقها على بعض الأصوات ، مثل :

مصطلح الصوت المتصل على الواو ، حيث أدرك أنّ هذا الصوت يتصل بمخرج صوت الألف الذي ينقطع صوتها عنده .

ومصطلح الأصوات المذبذبة التي وصف بها الأصوات التي تكون زائدة عن أصل الكلمة ، ويجمعها هجاء قولك : سألتمونيها ، حيث لم يسبقه أحد باستخدام هذا المصطلح .

ومصطلح الأصوات المشربة ، أو المخالطة وهي الأصوات الستة التي ذكرنا أنّ العرب اتسعت فيها فزادتها على التسعة والعشرين ... .

واستخدم مكي مصطلح الصوت الراجع الذي خصّ به الميم الساكنة ، واستخدم مصطلح الصوت الجرسي الذي أطلقه على صوت الهمزة لأنّ الصوت يعلو عند النطق بها .

ومن النتائج التي خرجنا بها أنّ مكياً قد طبّق نظرية القوة والضعف على أصوات العربية ، حيث كان يتحدث عن قوة الصوت وضعفه في

معرض حديثه عن الأصوات ، ويشير إلى دور هذا في السياق من حيث تحول الصوت أو إدغامه أو إمالته وغير ذلك .

وفي الفصل الثاني في باب الإدغام والإمالة ، والمد ، والقصر ... ، خلص الباحث إلى أنّ مكياً أشار إلى أنّ أصوات اللغة تميل إلى التقارب والخفة والسهولة والتيسير ، وبالتالي فإنّ الإدغام والإبدال والإمالة وغير ذلك من الأداء الصوتي ما هو إلاّ وجه من وجوه المماثلة الصوتية التي تهدف إلى قلة الجهد والتخفيف على المتكلم والسامع.

وفي مصادر مكي الصوتية في الفصل الثالث ألفينا مكياً قد وضع لنفسه أسساً ينتقي فيها ممن يتعلم منهم ، بل وحتّى الذين يُعلّمهم ، وتحدّث عن هذا في كتاب الرعاية ، فمن هنا كانت مصادر شيخنا ذات قيمة علمية مهمّة ، وقد تنوعت مصادره من كتب القراءات وكتب اللغة ، واعتمد مكي على نخبة من العلماء أمثال الخليل، وسيبويه، والمبرّد، وابن جني، والمازني ، والكسائي، والأخفش، وغيرهم كثير .

أما الفصل الرابع في منهج مكي في دراسته الصوتية خرجنا إلى أنّ مكي بن أبي طالب القيسي كان له منهجه المستقل عن الذين سبقوه من علماء اللغة القراءات ؛ إذ عدّ نفسه أول من ألّف كتباً مستقلة لدراسة الأصوات العربية كما وصف نفسه ، وقد سار منهجه على محورين :

الأول : نظري راح يجمع المادة الصوتية ، والثاني : عملي تمثّل في تطبيق ما توصل إليه على أرض الواقع ، ورأيناه كثير التعليل وخاصة فيما يتعلّق بصفات الأصوات وألقابها ، وتبدّى المنهج التعليمي واضحاً عنده وخاصة في كتاب الرعاية .

قائمة المراجع:

الأتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى ، (1935) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1353هـ .

الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (2000) ، تهذيب اللغة، تحقيق د . رياض زكي قاسم ، دار المعرفة بيروت ـ لبنان ، ط1، 1422 هـ .

أبو حيّان الأندلسي 745هـ ، (1988) ، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد ، مراجعة رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 .

الأنطاكي ، محمد (1969) ، الوجيز في فقه اللغة ، منشورات دار الشروق ، ط ، 1389هـ .

أنيس ، إبراهيم (1975) ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5 .

أيوب ، عبد الرحمن ، (د.ت) ، محاضرات في اللغة، منهج في دراسة اللغة من الناحية الاجتماعية والنفسية ودراسة أصواتها وقواعدها مطبعة المعارف ، بغداد ، نشر بمساعدة جامعة بغداد.

ابن الباذش ، (1999) ، الإمام أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ت 578 هـ ، الإقناع في القراءات السبع ، حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1419 هـ .

برتيل ، مالمبرج ، (1984) ، **علم الأصوات** ، تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة .

بشر، كمال محمد ، (1987) ، **علم اللغة العام: الأصوات اللغوية**، مكتبة الشباب .

ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف عبد الملك ت 578 هـ ، (د.ت) ، **الصلة**، المكتبة الأندلسية .

جان ، كانتينيو ، (1966) ، **دروس في علم أصوات العربية** ، ترجمة صالح القرمادي ، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس .

ابن الجزري ،شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري ت833 هـ (1986) ، **التمهيد في علم التجويد** ، تحقيق غانم قدّوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1407هـ .

ابن الجزري ، (1933) ، **غاية النهاية في طبقات القرّاء** ، عني بنشره ج برجستراسر ، ط2 ، 1352هـ .

ابن جنّي ،أبو الفتح عثمان بن جنّي ، (2001) ، **الخصائص** ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1421هـ .

ابن جنّي ، (2000) ، **سرّ صناعة الإعراب** ، تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي عامر ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان ط1 ، 1421هـ .

حبيب ، ماهر عيسى ، (د.ت) ، **مفهوم الدرس الصوتي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري** ، جامعة تشرين ، كلية

الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، إشراف الأستاذ الدكتور سامي عوض .

حسان ، تمام ، (د.ت) ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .

حسّان، تمام ، (1955) ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، جامعة القاهرة .

الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت: 626هـ ، (د.ت) ، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن خَلّكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبو بكر بن خلكان ت 681هـ ، (1977) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت ، 1397هـ / 1977م.

الخليل ، أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ ، العين ، تحقيق د. مهدي المخزومي .

الدّاني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي ، (1999) ، التحديد في الإتقان والتجويد ، دراسة وتحقيق ، غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، ط ، 1420هـ .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت321 هـ ، جمهرة اللغة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

الذهبي ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748 هـ ، (1983) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب

الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ، 1403هـ .

الذهبي ، (1969) ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط1 .

محمود ، عبد الله ربيع ، (1980) ، أصوات العربية والقرآن الكريم منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب ، مجلة كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد الخامس عشر ، 1400هـ .

رمضان، محيي الدين ، (د.ت) ، في صوتيات العربية ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان .

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي ت 340هـ (د.ت) ، الجمل في النحو ، تحقيق علي توفيق الحمد ، ساعدت جامعة اليرموك في دعم تحقيقه، دار الأهل ، الأردن

السامرائي، إبراهيم عبود ياسين ، (1993) ، المصطلحات الصوتية في كتب التراث العربي في ضوء التفكير الصوتي الحديث ، إشراف وليد سيف ، 1993م ، الجامعة الأردنية ، رسالة دكتوراة .

السبتي ، القاضي عيّاض بن موسى بن عيّاض السبتي ت: 544هـ (د.ت) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق عبد القادر الصحراوي ، المملكة المغربية.

ابن السّراج ، أبو بكر محمد بن سهل السّراج النحوي البغدادي ت: 316هـ ، (1987) ، **الأصول في النحو** ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، 1407 هـ .

السعران، محمود ، (د.ت) ، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، دار النهضة العربية ، بيروت .

سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ، (1999) **الكتاب** علّق عليه ووضع حواشيه د. إميل يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلميّة ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1420هـ .

ابن سينا، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ت 428 هـ ، (1983) ، **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تحقيق محمد حسان الطيان ، ويحيى مير علم ، مراجعة شاكر الفحّام، والأستاذ أحمد راتب النفاح ، دمشق ـ سوريا ، ط1 ، 1403هـ .

السيوطي ، الحافظ جلال الدين السيوطي ، (د.ت) ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصريّة ، بيروت لبنان .

السيوطي ، الإمام جلال الدين السيوطي ت 911هـ ، (د.ت) ، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، تحقيق وشرح عبد العال مكرم ، دار البحوث العلميّة ، ساعدت على نشره جامعة الكويت ، الكويت .

أبو شامة ، الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي ت 665هـ ، (د.ت) ، **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع** للإمام الشاطبي ت 590هـ ، تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي .

الصالح، صبحي ، (1978) ، **دراسات في فقه اللغة** ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط7 .

صلاح ، فتحية توفيق ، (1978) ، **التيسير في النحو والصرف** ، عمان .

الصيغ ، عبد العزيز سعيد ، (2000) ، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية** ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1421هـ .

الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت 599هـ ، (1967) **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** ، دار الكاتب العربي، بيروت .

ابن الطحان ، الإمام أبو الإصبع السّماتي الإشبيلي ، المعروف بابن الطحان ، (1991) ، **مخارج الحروف وصفاتها** ، تحقيق د. محمد يعقوب تركستاني ، رسائل من التراث ، ط2 ، 1412 هـ .

عبد التواب ، رمضان ،(د.ت) ، **أصوات اللغة** ، مكتبة الشباب ، القاهرة .

عبد التواب ، رمضان ، (1985) ، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1405هـ.

عبد التواب ، رمضان ، (1982) ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، دار الرفاعي بالرياض ، القاهرة ، ط1 .

ابن عصفور ، علي بن مؤمن ت 669هـ ، (1972) ، المقرّب ، تحقيق أحمد عبد الستار ، وعبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط1، 1392هـ .

العطية ، خليل إبراهيم ، (1983) ، في البحث الصوتي ، منشورات دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، 1403هـ .

ابن العماد ، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العماد الحنبلي ت 1089هـ ، (1988) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، 1419هـ .

عمر، أحمد مختار ، (1976) ، دراسة الصوت اللغوي ، جامعة الكويت ، عالم الكتب ، ط1 ، 1396 هـ .

فرحات ، أحمد ، (1983) ، مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن الكريم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت ، دار الفرقان عمان – الأردن ، ط1 .

فليش، هنري ، (د.ت) ، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد ، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ، ط2 .

القاسم ، يحيى عطية السالم ، (1989) ، منهج أبي حيان الأندلسي في اختياراته من القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة

المعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، 1410هـ .

القفطي ، الوزير جمال الدينابوري الحسن علي بن يوسف القفطي ، (1955) ، **إنباه الرواةعلى أنباء النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1374هـ .

القيسي ، مكي بن أبي طالب ت 437هـ ، (د.ت) ، **الإبانة عن معاني القراءات** ، تحقيق د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مكتبة نهضة مصر.

القيسي ، مكي بن أبي طالب ، (1985) ، **التبصرة في القراءات** ، حققه وعلق عليه محيي الدين رمضان ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط1 ، 1405هـ .

القيسي ، مكي بن أبي طالب ، (1996) ، **الرعاية لتجويد القراءة** ، تحقيق أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، الأردن ، عمان ، ط 3 ،1417هـ

القيسي ، مكي بن أبي طالب ، (1981) ، **الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها**، تحقيق محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2 ، 1401هـ .

القيسي ، مكي بن أبي طالب ، (1987) ، **مشكل إعراب القرآن** ، تحقيق صالح الضامن ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3 ، 1407هـ .

ماريو باي ، (1973) ، **أسس علم اللغة** ، ترجمة أحمد مختار عمر منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية .

مالك ، آمنة ، (1987) ، <u>مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي</u> ، جامعة الجزائر ، معهد اللغة والأدب العربي ، إشراف الدكتور خليل إبراهيم عطية ، رسالة دكتوراة .

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت 285هـ ، (1999) <u>المقتضب</u> ، تحقيق حسن حمد ، مراجعة د. إميل يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1420هـ .

مخلوف ، محمد بن محمد ، (د.ت) ، <u>شجرة النور الزكية في طبقات المالكية</u> ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط2 .

الخليل ، عبد القادر مرعي ، (د.ت) ، <u>التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي</u> ، منشورات جامعة قسنطينة ، مجلة الآداب ، العدد الخامس .

مرعي ، عبد القادر ، (1993) ، <u>المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر</u>، جامعة مؤتة ، عمان ، ط1 ، 1413هـ .

مصلوح ، سعد ، (1980) ، <u>دراسة السمع والكلام</u> ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1400هـ .

المطلبي ، غالب فاضل ، (1984) ، <u>في الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية</u> ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد .

معبد، محمد أحمد ، (1998) ، <u>الملخص المفيد في علم التجويد</u> ، دار السلام ، القاهرة ، ط4 .

نصر، محمد مكي ، (1929) ، **نهاية القول المفيد** ، مراجعة الشيخ علي محمد الشهير بالضباع ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1349هـ .

النعيمي ، حسام ، (د.ت) ، **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي**، دار الرشيد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية .

نور الدين ، عصام ، (1992) ، **علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجية** ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ــ لبنان ، ط1 .

هلال ، عبد الغفار حامد ، (1988) ، **أصوات اللغة العربية** ، ط2 ، 1408هـ .

وافي ، علي عبد الواحد ، (د.ت) ، **فقه اللغة** ، لجنة البيان العربي القاهرة .

يعقوب ، إميل بديع ، (1986) ، **موسوعة النحو والصرف** ، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان ، ط1 .

ابن يعيش ، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي ت: 643هـ ،(2001) ، **شرح المفصل** ، قدّم له إميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ .

اليماني ، عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، (1986) ، **إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين** ، تحقيق د عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1 ، 1406هـ